



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتى (الرعد وإبراهيم) (دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة

فداء مصلح أحمد الأسود

مرقم جامعي

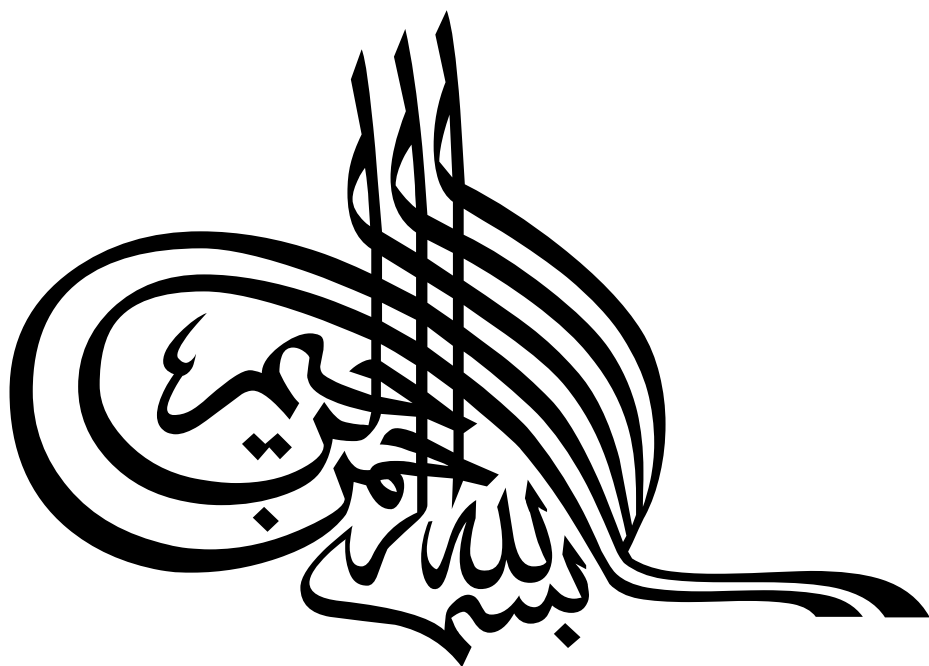
٢٢٠١٠٠٢٥٣

إشراف الدكتور

زهدي محمد مطر أبو نعمة

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م



قال تعالى :

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]

الإهداء

إلى معلم الأمة الأول وهاديها وموجهها إلى سبيل الخير والصلاح إلى رسولنا محمد

ﷺ

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، يا من افتقدك منذ الصغر، يا من استودعني عند الله
والدي الحبيب

إلى من يرتعش قلبي لذكراها، إلى التي بفيض حنانها غمرتني والتي أشعر بلمسات
روحها تعانقني والدي الحبيبة

إلى الروح التي سكنت روحي، إلى الذي حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق
العلم زوجي الحبيب عاطف

إلى فلذات كبدي وثمرات فؤادي أبنائي محمد، معتصم، المعترز بالله

وبناتي هديل، أسيل، رغد

إلى قرة عيني، وسند ظهري، ومن يسعدنا فرحي، وتحمل همي، ومن أدخرها ليوم
كربي ابنتي أريج

إلى من حبهم يجري في عروقي إلى إخواني وأخواتي، وعلى رأسهم أخي الحبيب
المهندس حسن الأسود، وأختي المريبة الفاضلة الأستاذة كفاح الأسود

إلى الأخوات اللواتي لم تلهن أمي صديقاتي في دروب الدعوة إلى الله

إلى والد ووالدة زوجي وأخوة وأخوات زوجي، وزوجة ابني

إلى شهداء فلسطين، وإلى الذين ضحوا بزهرة عمرهم أسرانا البواسل

كما أهدي بحثي هذا

إلى العلماء وطلاب العلم الشرعي عامة، وزميلاتي العاملات بحقل الدعوة إلى الله
أهديكم جميعاً رسالتي

شكر وتقدير

امتنتع الكلمات عن التعبير ورق القلم أن يسير، ولكن أبقى القلب إلا أن يبوح لما يختلج فيه من مشاعر تفيض شكراً وامتناناً وثناءً ماذا عسانا أن نقول لقد هربت منا الكلمات، وتشتت شمل العبارات لا ندري أي كلام يفيدكم حقكم، وأي العبارات تليق بمقامكم .

فانطلقاً من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢]، وامتثالاً لسنة ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (١) .

فأتقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية الغراء محضن العلم والعلماء، وكلية أصول الدين قسم التفسير وعلومه، والدراسات العليا فيها، والهيئة التدريسية والإدارية من الأساتذة الكرام .

وأقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير لمن تفضل علي بقبول الإشراف على رسالتي الدكتور زهدي محمد أبو نعمة حيث كان قبس الضياء في عتمة البحث، ولعلي لا أعدو الحق إذ أقول أنه كان لي نعم الناصح الأمين، حيث منحني الثقة وغرس في نفسي قوة العزيمة، ولم يبخل علي بوقته الثمين، أبقاءه الله ذخراً لطلبة العلم، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة اللذين تكروا بقبول مناقشة رسالتي :

الدكتور / وليد محمد العامودي حفظه الله

والدكتور / جمال محمود الهوبي حفظه الله

واللذين سيزيدان الرسالة بهاءً وجمالاً وإثراءً بتوجيهاتهم العظيمة .

وأبرق بالشكر إلى جميع زميلاتي رفيقات درب العلم أثناء دراستي في مرحلة الماجستير، وأخص بالذكر الأستاذة وفاء أبو ناجي .

ولا أنسى عظيم الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي الذي تكرم بترجمة ملخص رسالتي إلى اللغة الإنجليزية، ولأستاذ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة رسالتي وتنسيقها وكان لي نعم الناصح الأمين، والأستاذ نادر وادي أستاذ الحديث في جامعة الأقصى.

والشكر إلى كل من دعمني نفسياً أو معنوياً، أو ساعدني بكتاب أو دعوة في ظهر الغيب.

(١) صحيح ابن حبان، مخرجاً (١٩٩/٨)، كتاب الزكاة، باب ذكر ما يجب على المرء من الشكر لأخيه المسلم عند الإحسان إليه، ح (٣٤٠٧)، (تعليق الألباني) صحيح، "الصحيحة" (٧١٦)، (تعليق شعيب الأرنؤوط) إسناده صحيح على شرط مسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وعدد ما أحصاه كتابه، وعدد ما خطه قلمه، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمةً وهدى ونوراً للعالمين، وبعد :

فإن الله قد أكمل دينه، وأتم نعمته على المؤمنين بما أنزله من القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم .

لقد تسلّم الإسلام قيادة البشرية بعدما فسدت الأرض، وذاتت البشرية الويلات، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرّوم: ٤١] .

فما أحوجنا اليوم للرجوع إلى كتاب الله باحثين عن العلاج الشافي لكل ما نعانيه من مشاكل، فنحن قوم أعزنا الله بالقرآن، فإذا ابتغينا العزة في غيره أدلنا الله .

فالإنسان حينما يتأمل القرآن الكريم يجد فيه علاجاً لجميع مشكلات هذا العصر، بل كل العصور، ويجد فيه مناهج عديدة للإصلاح والتغيير .

ويستقي البحث قوامه في ضوء سورتين من سور القرآن وهما: الرعد وإبراهيم، ويتناول منهجيات الإصلاح والتغيير فيهما لما لهذه المنهجيات من دور كبير في إصلاح مجتمعاتنا الإسلامية خاصة في عصرنا الراهن .

سائلة المولى ﷺ أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب .

أولاً: أهمية الموضوع:

١. تعلق موضوع هذه الدراسة بأشرف كتاب على هذه البسيطة، ألا وهو القرآن الكريم الذي كان وما زال الاشتغال به منتهى المفاخر.
٢. التعامل مع النص القرآني من حيث التأمل والتدبر والتفكير العميق، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها يُعدُّ من أفضل العلوم وأجلها .
٣. معالجة الفساد من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير المستقاة من كتاب الله تعالى .

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١. خدمة كتاب الله ﷺ، وذلك من خلال بحثي في موضوع هام من موضوعات القرآن الكريم.
٢. ما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة للأمة الإسلامية لتقويم ذاتها وإصلاح واقعها .
٣. تسليط الضوء على نقاط الضعف والفساد والتماس والعلاج القرآني لها .
٤. تشجيع لجنة السيمينار المكونة من الثلاثة أستاذي ومشرفي الدكتور زهدي أبو نعمة والأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح والأستاذ الدكتور عصام زهد حفظهم الله .

ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها:

١. ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال خدمة كتابه جل وعلا.
٢. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تتناول موضوعاً جديداً في علم التفسير .
٣. إبراز منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها سورتي الرعد وإبراهيم .
٤. فتح آفاق جديدة أمام الدارسين، وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي ستخرج بها الباحثة في الخاتمة إن شاء الله تعالى .
٥. الرقي والنهوض بالمجتمع المسلم من خلال توجيهات السورتين .
٦. بث روح الأمل في نفوس الناس والعودة بهم إلى كتاب الله كمنهج حياة .

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في الكتب والمراجع والرسائل، وجدت أن الدكتور صلاح سلطان قد ألف في منهجيات الإصلاح والتغيير في السور التالية: (الكهف - يوسف - الصف - الفجر) وبدأ العمل في كلية أصول الدين، لاستكمال الدراسة في سور أخرى من كتاب الله تعالى، وقد كانت دراستي هذه حلقة متممة ومكملة لما سبق من الدراسة .

خامساً: منهج الدراسة:

- اعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال ما يلي:
١. جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع، ودرستها دراسة تفسيرية موضوعية .
 ٢. وضع العناوين المناسبة للفصول والمطالب مستخدمة الألفاظ القرآنية ما أمكن .
 ٣. تفسير الآيات القرآنية تفسيراً إجمالياً وفقاً لطبيعة البحث في التفسير الموضوعي .
 ٤. الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة مما له علاقة بالبحث .
 ٥. عزو الآيات القرآنية المذكورة إلى سورها مع ذكر رقم الآية وتوثيق ذلك في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي .

٦. الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة، والآثار التي تخدم البحث، وعزوها لمطانها الأصلية، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن .
٧. توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية وتوثيقها من مصادرها اللغوية .
٨. الترجمة للأعلام والبلدان والقبائل غير المعروفة التي سترد في البحث .
٩. الوقوف على اللطائف والإشارات والعبر والعظات، واستنباط الأحكام التي تخدم موضوع البحث، مع ربط الموضوع بواقعا المعاصر بما فيه من مستجدات .
١٠. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وذكر المصادر والمراجع في الحاشية مبتدئة بذكر الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، مع مراعاة عدم ذكر اسم المؤلف في الحاشية إن ذكر في متن الرسالة مع استكمال مواصفات المراجع والمصادر في الفهرس العام لها .
١١. التركيز على منهج البحث في التفسير الموضوعي والالتزام بكل قواعده وأصوله .
١٢. عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات .

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وبيان ذلك فيما يلي:

المقدمة:

وقد اشتملت على:

١. أهمية الموضوع .
٢. أسباب اختيار الموضوع .
٣. أهداف الدراسة والغاية منها .
٤. الدراسات السابقة .
٥. منهج الدراسة .
٦. خطة البحث .

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالمنهج .

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: المنهج لغة .
- المطلب الثاني: المنهج اصطلاحاً .
- المطلب الثالث: المنهج الإسلامي بين الثبات والمرونة .
- المطلب الرابع: مصادر المنهج الإسلامي .

المبحث الثاني: المقصود بالإصلاح .

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإصلاح لغة .

المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحاً .

المطلب الثالث: أثر الإصلاح .

المبحث الثالث: المقصود بالتغيير .

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التغيير لغة .

المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً .

المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير التي تناولها القرآن .

المطلب الرابع: مراحل التغيير .

الفصل الأول

الإصلاح والتغيير في سورة الرعد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة الرعد .

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها .

المطلب الثاني: نزول السورة .

المطلب الثالث: فضل السورة .

المطلب الرابع: محور السورة .

المطلب الخامس: المناسبة بين اسم السورة ومحورها .

المطلب السادس: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها .

المطلب السابع: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها .

المطلب الثامن: المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها .

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد .

ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الرعد .

ويشتمل على أربع نقاط:

- أولاً: الإيمان بالله تعالى .
- ثانياً: الإيمان بالملائكة .
- ثالثاً: الإيمان بالغيب وبالقضاء والقدر .
- رابعاً: الخوف والرجاء .
- المطلب الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الرعد .
- ويشتمل على أربع نقاط:
- أولاً: صفات المؤمنين وجزاؤهم .
- ثانياً: صفات الكافرين وجزاؤهم .
- ثالثاً: التغيير سنة إلهية.
- رابعاً: ألا بذكر الله تطمئن القلوب .
- المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الرعد .
- ويشتمل على خمس نقاط:
- أولاً: أسلوب النظر والتفكير في مخلوقات الله .
- ثانياً: الترغيب والترهيب .
- ثالثاً: الاختيار بين المتقابلات والأضداد .
- رابعاً: ضرب الأمثال .
- خامساً: الهداية بمشيئة الله .
- المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الرعد .
- ويشتمل على:
- * طبيعة الصراع مع الظالمين .

الفصل الثاني

الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم

- ويشتمل على مبحثين:
- المبحث الأول: مدخل إلى سورة إبراهيم .
- ويشتمل على ستة مطالب:
- المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها .
- المطلب الثاني: نزول السورة .
- المطلب الثالث: محور السورة .
- المطلب الرابع: المناسبة بين اسم السورة ومحورها .

- المطلب الخامس: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها .
- المطلب السادس: المناسبة بين خاتمة السورة و فاتحة سورة الحجر .
- المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم .**
ويشتمل على أربعة مطالب:
- المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة إبراهيم .
ويشتمل على أربع نقاط:
- أولاً: مقاصد القرآن وأثره في الهداية .
ثانياً: أدلة وحدانية الخالق .
ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات .
رابعاً: أعمال الكافرين ومصيرهم .
- المطلب الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة إبراهيم .
ويشتمل على أربع نقاط:
- أولاً: شكر النعمة .
ثانياً: الموعظة .
ثالثاً: التحذير من كيد الشيطان .
رابعاً: ميزان التبعية للآخرين .
- المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة إبراهيم .
ويشتمل على خمس نقاط:
- أولاً: الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة .
ثانياً: الزاد الروحاني .
ثالثاً: الداعية الحليم .
رابعاً: أثر الدعاء في الدعوة إلى الله .
خامساً: الابتلاء سنة الله في الدعوات .
- المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة إبراهيم .
ويشتمل على أربع نقاط:
- أولاً: الاستخلاف في الأرض .
ثانياً: تحقيق الأمن .
ثالثاً: سنة الله في إمهال العصاة والظالمين .
رابعاً: نهاية الظالمين .

الخاتمة:

وستشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس:

وتشتمل على:

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية .
٣. فهرس الأعلام المترجم لهم .
٤. فهرس المصادر والمراجع .
٥. فهرس الموضوعات .

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: المقصود بالمنهج .
- المبحث الثاني: المقصود بالإصلاح .
- المبحث الثالث: المقصود بالتغيير .

المبحث الأول المقصود بالمنهج

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: المنهج لغة .
- المطلب الثاني: المنهج اصطلاحاً .
- المطلب الثالث: المنهج الإسلامي بين الثبات والمرونة .
- المطلب الرابع: مصادر المنهج الإسلامي .

التمهيد

المبحث الأول

المقصود بالمنهج

المطلب الأول: المنهج لغة :

"نهج" النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول: النهج ، الطريق . ونَهَجَ لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهج، والمنهج الطريق أيضاً^(١).

الآخر: الانقطاع وأتانا فلانٌ ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس، وضربت فلاناً حتى أنهج: أي سقط^(٢).

النهج: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال^(٣).

والمنهاج: الخطة المرسومة .

ويقال: هذا نهجي لا أحمده^(٤)، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

[المائدة:٤٨]^(٥).

وعلى ضوء ما سبق يتضح للباحثة من خلال تعريفات أهل اللغة أن المنهج لفظ مشتق من النهج، تدور معانيه اللغوية حول ثلاثة معاني: الوضوح، والاستقامة في الطريق، والانقطاع .

(١) انظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (٨٥٤/٣)، دراسة وتحقيق: زهير

عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (٣٦١/٥)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد

هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (٩١٣)،

مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى (١٠٩٤-١٦٨٣) .

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى الزيات، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار،

(٩٩٥/٢)، الناشر: دار الدعوة ، الطبعة الثانية .

(٥) لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، (٣٨٣/٢) .

المطلب الثاني: المنهج اصطلاحاً:

قال ابن كثير: "الطريق والمسلك الواضح البين" (١) .

قال الشوكاني: "المنهاج الطريقة الواضحة البينة" (٢) .

قال البيضاوي: "المنهاج الطريق الواضح في الدين" (٣) .

والمنهج أيضاً: هو القانون والقاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال من الدراسة (٤) .

وبعد استعراض أقوال العديد من العلماء يتضح للباحثة أن المنهج هو الطريق المستقيم الواضح المعالم، القائم على قواعد علمية صحيحة .

والمقصود بمنهج الإصلاح والتغيير في سورتي (الرعد - إبراهيم): الطريقة الواضحة البينة، والأساليب المتنوعة التي اتبعتها القرآن الكريم للإصلاح والتغيير في سورتي (الرعد - إبراهيم) .

المطلب الثالث: المنهج الإسلامي بين الثبات والمرونة:

استطاع المنهج الإسلامي أن يفي بحاجات كل المجتمعات التي حكمها، وأن يعالج كافة المشكلات في كل البيئات التي حل بها - رغم تنوعها وتعددتها - بأعدل الحلول، وأمثلة الأحكام لأنه جمع من المزايا والخصائص ما لم يجتمع لمنهج قبله ولا بعده .

إن الثبات والمرونة من الخصائص التي تميز بها المنهج الإسلامي عن كل ما عرفه الناس من المناهج والمذاهب، بكل ما يحتويه من معانٍ وأبعاد .

"بالمرونة يستطيع أن يتكيف ويواجه التطور، ويلائم كل وضع جديد، وهو بثبات أصوله وأهدافه يستعصي على الذوبان والميوعة، والخضوع لكل تغيير خطأ أو صواب" (٥) .

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (٦٩/٢)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الإمام محمد بن علي الشوكاني، (٧٠/٢)، حققه وخرج أحاديثه سيد إبراهيم، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

(٣) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، (٢٦٩/١)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

(٤) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال عبد الحميد موسى، (٢٧١)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

(٥) شريعة الإسلام خلودها وصلاحتها للتطبيق في كل زمان ومكان، تأليف: يوسف القرضاوي، (٢٢)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية .

ونستطيع أن نحدد مجال الثبات، ومجال المرونة في شريعة الإسلام ورسالته الخالدة فنقول: إنه الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب .

الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية^(١)، والذي يتدبر القرآن الكريم يجد في نصوصه دلائل جمة أكتفي بواحدة :

يتمثل الثبات في مثل قوله ﷺ في وصف مجتمع المؤمنين: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] ، وفي قوله ﷺ لرسوله ﷺ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فلا يجوز لحاكم، ولا لمجتمع أن يلغي الشورى من حياته السياسية والاجتماعية، ولا يحل لسلطان أن يفقد الناس رغم أنوفهم إلى ما يكرهون بالتسلط والجبروت .

وتتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى، يستطيع المؤمنون في كل عصر أن ينفذوا ما أمر الله به من الشورى بالصورة التي تتاسب حالهم وأوضاعهم، دون أي قيد أو شرط يلزمهم بشكل جامد^(٢) .

أهمية الثبات والمرونة:

"وقيمة وجود الميزان الثابت الذي يرجع إليه الإنسان بكل ما يعرض له من مشاعر وأفكار وتصورات، وبكل ما يجده في حياته قريبا أو بعدها من الحق والصواب ... ومن ثم يظل دائما في الدائرة المأمونة لا يشرذم إلى التيه ، الذي لا دليل فيه من نجم ثابت ، ولا من معالم هادية في الطريق!"^(٣) .

أما المرونة فتضمن مراعاة المصالح المختلفة للبشر في البيئات والظروف المتغيرة، والأعراف والعادات المنتشرة .

وعلى ذلك فإن المنهج الإسلامي ثابت في مرونته، مرن في ثباته فمرونته ليست مطلقة، بل مقيدة في إطار محدود .

(١) انظر: مدخل لمعرفة الإسلام مقوماته ... خصائصه ... أهدافه ... مصادره، دكتور يوسف القرضاوي،

(١٧٦، ١٧٧)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، وانظر: الخصائص العامة للإسلام،

دكتور يوسف القرضاوي، (٢١٦، ٢١٧)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢) انظر: مدخل لمعرفة الإسلام، (١٧٩، ١٨٠) .

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، (٩١)، دار الشروق، الطبعة السابعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

وترى الباحثة:

إن حقيقة المنهج أن نعي جيداً أن هناك أموراً وشؤوناً من الحياة يجب أن تبقى ثابتة راسخة لا تتغير ولا تتبدل كالعقائد والعبادات، والقيم التي جاء بها إسلامنا الحنيف، وهناك أموراً مرنة تتغير لتتناسب مع الواقع وتطورات الحياة كالثقافة الدنيوية والعلمية، فعلى الإنسان أن يبذل كل ما بوسعه لتطويرها وتحسينها .

المطلب الرابع: مصادر المنهج الإسلامي:

أ- المصادر الأصلية : وهي :

أولاً : القرآن الكريم :

أول المصادر وأعظمها، وأصل الأصول، وعمدة الملة، وينبوع الشريعة، وهو كتاب الله الذي : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، ﴿ الرِّيبَاتُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] .

كل الأدلة لا بد أن ترجع إليه، وتعتمد عليه، فلما ثبتت حجية السنة يلزمنا أن نثبتها بالقرآن، وحجية الإجماع والقياس وغيرهما من الأدلة لا بد من اعتمادها كلها على القرآن، فالقرآن يستغني عن كل الأدلة، ولكن الأدلة كلها لا تستغني عنه (١) .

ثانياً : السنة النبوية :

السنة : "ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير" (٢) . فإذا كان القرآن هو المصدر الأول للشريعة، فالسنة هي المصدر الثاني لها، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن .

السنة هي المنهاج النبوي الذي يفصل ما أجمله هذا الدستور، ويخصص ما عممه، ويُقيد ما أطلقه، ويضع له الصور التطبيقية من حياة رسول الله ﷺ وسيرته الجامعة: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ، ولولا السنة ما عرفنا الكثير من أحكام الإسلام من عبادات أو معاملات (٣) .

(١) انظر: تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة، د. يوسف القرضاوي (٤٣، ٤٤)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

(٢) دراسات في السنة النبوية، محمد ضياء الأعظمي، (١٦/٦٢)، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) انظر: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، يوسف القرضاوي، (٤٤)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

ثالثاً : الإجماع :

الإجماع في اللغة: "إما العزم على الشيء، يقال: أجمع فلان على الأمر، أي عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، أي اعزموا، وإما الاتفاق: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه" (١) .

وفي اصطلاح الأصوليين: "هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي، أي أن الإجماع لا بد فيه من الاتفاق على أمر من الأمور، وأن يكون من المجتهدين الذين تتوافر لديهم أهلية الاجتهاد، فلا عبرة بقول العوام ومن ليس أهلاً للنظر في استنباط الأحكام الشرعية، وأن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين ، فلا يعد إجماعاً ملزماً اتفاق أكثر المجتهدين" (٢) .

ومنشأ فكرة الإجماع بعد وفاة الرسول ﷺ واجهت الصحابة وقائع عديدة لم ينزل فيها قرآن، ولم تمض فيها من الرسول ﷺ سنة، سلك الصحابة السبيل الذي أرشدهم إليه القرآن وهو الشورى (٣) .

رابعاً : القياس :

القياس في اللغة: (قوس): "القاف والواو والسين أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء" (٤) .
وفي اصطلاح العلماء: "إلحاق مسألة لا نص على حكمها بمسألة ورد النص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص لتساوي المسألتين في علة الحكم" (٥) .

والمثال على ذلك: قياس المخدرات على الخمر في التحريم لعدة إذهاب العقل .

ب- المصادر الفرعية:

وتسمى المصادر المختلف فيها والتي منها: الاستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع ما قبلنا، وسد الذرائع، والاستصحاب.

(١) الكليات، (٤٢) .

(٢) الوجيز في أصول الفقه، د. وهبة الزحيلي، (٤٦)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

(٣) الميسر في أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم محمد سلقين، (٩٠)، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

(٤) مقاييس اللغة، (٤٠/٥) .

(٥) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، (١٩٨)، دار عمر بن الخطاب، وانظر: المدخل إلى

الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور عبد العزيز الخياط، (٥١)، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى

١٤١١هـ-١٩٩١م .

المبحث الثاني المقصود بالإصلاح

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول: الإصلاح لغة .
- المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحاً .
- المطلب الثالث: أثر الإصلاح .

المبحث الثاني المقصود بالإصلاح

المطلب الأول: الإصلاح لغة .

الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد^(١)، ويقال صَلَحَ يَصْلُحُ وَصُلُوحًا، والجمع صُلُوحًا وَصُلُوح، وَصَلَحَ من أسماء مكة شرفها الله .

والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى الأنبياء والمرسلين^(٢) .

ولا يستعمل الصلاح في النعوت، فلا يقال: قول صلاح، إنما يقال قول صالح^(٣) .

وقبول الصلاح تارة في القرآن بالفساد، وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿... خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَأَخْرَجَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]^(٤) .

المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحاً:

الصلاح عند الإمام أبي حيان: "اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحسنة"^(٥) .

وعند الإمام أبي البقاء^(٦): "هو سلوك طريق الهدى"، وقيل: "هو استقامة الحال على

ما يذهب إليه العقل"^(٧) .

(١) معجم مقاييس اللغة، (٣/٣٠٣) .

(٢) لسان العرب، (٢/٥١٧)، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، (٢/١٨٢)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .

(٣) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (٥٦١) .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، (٣١٨) .

(٥) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (١/١٩١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

(٦) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) تركيا وبالقدس وببغداد، وعاد إلى استانبول وتوفي بها سنة ١٠٩٣م، وله كتب أخرى بالتركية . انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي دمشقي (٢/٣٨)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م .

(٧) الكليات، لأبي البقاء، (٥٦١) .

وترى الباحثة، وبعد اطلاعها على مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح أن جل معاني الإصلاح تقيّد وتدلل على الوصول إلى الحالة السوية المستقيمة المطمئنة في أي مجال من المجالات التي يخوضها الإنسان، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذه الحالة إلا بعد أن يعود إلى شرع الله تعالى .

المطلب الثالث: أثر الإصلاح:

وعد الله ﷻ عباده المخلصين المصلحين، أن لا يضيع سعيهم، وألا يبطل ثواب أعمالهم، بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] .

وقال أيضاً: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩] .

كما ذكر الله ﷻ أن للإصلاح مكانة عالية، وآثاراً عظيمة وكثيرة تنعكس على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة .

ونظراً لأن الآثار كثيرة سأكتفي بالإشارة إلى بعضها لنفاذي الإطالة:

١ - التمتع بحياة طيبة :

من القضايا الكبرى المسلمة أن أعظم الأسباب لجلب الحياة الطيبة هو العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] .

الحياة الطيبة هي الحياة التي فيها تلج الصدور بلذة اليقين، وحلاوة الإيمان والرغبة في الموعود، والرضا بالقضاء، وعتق الروح مما كانوا يستعبدون (١) .

وترى الباحثة: أن الحياة الطيبة حياة فيها نعيم وقناعة، وغنى عن الغير، حياة فيها توفيق، واتجاه إلى الله ﷻ، لا ضنك فيها ولا تعب، وفيها استغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق .

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٦/٤٠٧)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

٢ - العناية الإلهية بالذرية وحفظ مالها:

إن صلاح الآباء يُصلح للذرية حالها، ويحفظ لها مالها بأمر الله ﷻ، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام - مع الغلامين اليتيمين دليل على ذلك: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال المفسرون: إن صلاح الآباء ينفع الأبناء، وتقوى الأصول تنفع الفروع^(١)، وأن هذا الأب الذي حفظ كنز الغلامين بفضل صلاحه، هو الأب السابع لهما أو الأب العاشر، فإن في ذلك دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء^(٢).

٣ - جلب ولاية الله:

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

الصالح هنا من صلحت نفسه، وغلبت حسناته سيئاته، يحب ما يحب الله، ويبغض ما يبغض الله، ومن كان كذلك فإن الله يتولى حفظه ونصرته.

والأحاديث التي تؤكد هذا المعنى كثيرة، أكتفي منها بواحد: عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته^(٣))^(٤).

ب- الصالحون رفقاء الأنبياء والصديقين والشهداء في الجنة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (٩/١٦)، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى (١٣٦٥-١٣٤٦)، وانظر: صفوة النفاسير، محمد علي الصابوني، (١٨٤/٢)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (٤٣٢/٢)، دار الصابوني، ط ٧.

(٣) مساءته: أي حياته. انظر: عمدة القاري، بدر الدين العيني (٩٠/٢٣) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (١٠٥/٨)، ح (٦٥٠٢).

وأى إنسان أسعد ممن يرافق هؤلاء ويرافقونه، إنها ليست مرافقة جسد وصورة، ولكنها مرافقة روح ووجدان، وفكر وقلب، وكفى أنه معهم وليس خلفهم ولا قريباً منهم .

إنه لفرق كبير بين إنسان تاريخه هو تاريخ شخصه أو حزيه فهو قريب القاع، سطحي الجذور، وإنسان تاريخه هو تاريخ الإيمان والهدى من عهد آدم (١) .

(١) انظر: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، (١٠٢) ، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

المبحث الثالث المقصود بالتغيير

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: التغيير لغة .
- المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً .
- المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير التي تناولها القرآن .
- المطلب الرابع: مراحل التغيير .

المبحث الثالث المقصود بالتغيير

المطلب الأول: التغيير لغة:

التغيير في اللغة من الأصل (غير) فالغين والياء والراء أصلان صحيحان يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، ومنه الغيرة، وهي الميرة، وبها صلاح العيال، ويقال غارهم الله بالغيث، أي أصلح شأنهم ونفعهم، الثاني يدل على اختلاف شيئين بمعنى خلافه وسواه، ومنه قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] (١).

وغير بمعنى سوى، والجمع أغيار، وهي كلمة يوصف بها، ويستثنى، والغير من تغيير الحال، وتغيير الشيء عن حاله، تحول، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] (٢).

المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً:

التغيير الإسلامي نعني به نقل المجتمع من حالة الانحراف عن منهج الله وهو الإسلام إلى حالة الالتزام به عقيدة وعبادة وشريعة دون سواه من الأنظمة الجاهلية، ويتأتى ذلك عبر التخطيط والجهد المستبصر، ولا يكتمل هذا التغيير إلا بأن يكون الدين كله لله فتخضع البشرية كلها له (٣).

إن غاية المنهج الإسلامي هي تعبيد الناس لله في سلوكهم، ومعاملاتهم، وتشريعاتهم، فإن ذلك يعني إحلال المنهج الإسلامي محل النظم الوضعية، يعني استبدال وضع بوضع .

إن ذلك يفرض أن تكون طبيعة العمل للإسلام "تغييرية"، وليست "ترميمية" تغييرية بمعنى أنها تأبى الترقيع، والقبول بأنصاف الحلول، تأبى التعايش مع المذاهب الوضعية (٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، (٤/٤٠٣-٤٠٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٤٠/٥).

(٣) منهج التغيير الإسلامي، دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز، نافذ سليمان الجعب، (١٨)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

(٤) انظر: ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن، (١٣٨)، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .

المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير التي تناولها القرآن:

بعدما استشرى الفساد في كل ناحية من نواحي الحياة، وتخلل الانحلال كثير من خلايا الحياة البشرية، واستعملت الوسائل والفنون لحرب الإسلام .

ففي الحكم والسياسة: إقصاء القرآن عن منصة الحكم، واستبدال شريعة الله السماوية بشرائع وثنية أرضية، وتنصيب الحكام أنفسهم آلهة يشرعون للناس بما تملي عليهم شياطينهم وتسول لهم أهواؤهم .

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧] .

وفي الحياة الاجتماعية: أدخلت المرأة كسلاح في المعركة ضد الإسلام، وزج بها في جحيم الشقاء تحت شعارات خادعة براقعة .

وأما الفساد الاقتصادي: لقد ابتز اليهود أموال البشرية بمصارفهم التي امتصت دماء الناس باسم فائدة البنوك، واستحلوا ما حرم الله من غش، وسرقة، وربما .

أما الفساد عن طريق مناهج التربية والتعليم: فالمناهج فاشلة، بل قاتلة للفضائل الإنسانية في النفس، وكلها تلتقي على محاربة الأديان، وإقامة حاجز سميكة بين الإنسان وربه .

أما الحياة السياسية: فهي أسوأ أوجه الحياة حالياً، ولقد مزقت الأرض جميعاً بين روبيصات كما وصف رسول الله ﷺ المسؤولين في آخر الزمان (١) .

في الحديث المرفوع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الروبيضة ، قيل: وما الروبيضة ؟ قال : الرجل التافه في أمر العامة) (٢) .

لقد دق ناقوس الخطر يعلن أن البشرية إذا بقيت على هذا الطريق فإنها - قطعاً - ماضية إلى الدمار ، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] .

(١) انظر: الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، (١٤ ، ١٥) .

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن وشدة الزمان، رقم الحديث (٤٠٢٦)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، للألباني، (رقم ١٨٨٧)، (٥٠٨/٧)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى .

وبعد: لقد تنوعت مجالات الإصلاح في الشريعة الإسلامية لتشمل ميادين الحياة بأسرها، ومن خلال الدراسة سأطرق إلى مجالات الإصلاح والتغيير من خلال سورتي (الرعد- إبراهيم) إن شاء الله .

المطلب الرابع: مراحل التغيير:

١- مرحلة التبليغ والتبيين :

إن من فضل الله ﷻ على الناس جميعاً أنه - تعالى - لا يعذبهم إلا بعد أن يبين لهم، ويبعث إليهم من يهديهم، ويكون المرسل إليهم هو القائم بالتغيير، وهذا هو حق الناس جميعاً، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ، وكقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ * [الملك: ٨، ٩] (١) .

فإذا استجاب بعض الناس لما يدعو إليه الأنبياء والرسل، فإن ذلك لا يؤدي بالضرورة إلى سرعة النصر والتمكين، بل لا بد من فترة تمحيص وابتلاء .

٢- مرحلة التمحيص والابتلاء بالشدائد والمحن:

تنشأ هذه المرحلة عقب استجابة الرواد الأوائل لما يدعو إليه الرسل والأنبياء، فينشأ حينئذ نوعان من القوى: قوى مؤمنة ومؤيدة لعملية التغيير، وهي الفئة القليلة التي استجابت للدعوة التغييرية، وقوى تكفر بتلك الدعوة وتقف ضدها بكل قوة وعنق، ونجد القوى المعارضة للتغيير تقوم بمهمة الابتلاء بالشدائد والمحن للفئة الأولى المؤمنة والمؤيدة للتغيير (٢) .

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

هذه سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ، وليكونوا لها أهلاً، وأن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم، وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة (٣) .

إن ثبتوا على الحق وتمسكوا به وصبروا على الابتلاء ، فإنهم يخرجون بفضل الله من هذه المرحلة بالمزيد من الهداية والثبات والتوفيق .

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي، (٣/٤٤٤)،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: استراتيجية التغيير التنظيمي من مدخل إسلامي مقارن، د. محمد المحمدي الماضي (٧٤)، الطبعة الأولى .

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/٢١٨)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٣- مرحلة السداد والهدى والتوفيق :

هذه المرحلة تعتبر نتيجة الصبر والثبات الذي أبداه المؤمنون في المرحلة السابقة ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد:١٧] ، ولقوله تعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس:٩] ، إن ظلوا ثابتين حتى يبلغوا هذه المرحلة ، واستمروا في الطاعة والمجاهدة والصبر فإنهم يكونون جديرين حينئذ بالوصول إلى المرحلة التالية .

٤- مرحلة النصر والتمكين :

التمكين أن يجعل دينهم ثابتاً مقررًا، وذلك بأن يعطي سبحانه شأنه ويقوي بتأييده أركانه ويعظم أهله في نفوس أعدائهم (١) .

وتأتي هذه المرحلة من النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض للذين آمنوا نتيجة لصبرهم على الابتلاء ، ولشدة إيمانهم بربهم ، ولإتيانهم لكل خلق جميل ، وعمل صالح من شأنه أن يكون سبباً من أسباب النصر والتمكين .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥] ، فالاستخلاف والتمكين في الأرض وعد ثابت من الله لمن يحقق شروطه ، وهو سنة ماضية في الأولين والآخرين .

٥- مرحلة الابتلاء بالخير والنعم :

إن الأمر لا ينتهي بمجرد الوصول إلى التمكين والاستخلاف في الأرض، حيث إن هذا التمكين والاستخلاف في حد ذاته نوعٌ من الابتلاء .

إن استمروا في الشكر زادهم الله من توفيقه وتمكينه لهم، وإن كفروا فليرتقبوا العقاب من الله، ولنتدبر تلك الآيات التي تتناول موقف بني إسرائيل بالنسبة للتمكين وسننه حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٦-٧] (٢) .

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، (٣٩٤/٩)، المحقق: علي

عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١٤١٥ هـ .

(٢) انظر: استراتيجية التغيير التنظيمي مدخل إسلامي مقارن، (٧٥-٧٦) .

الفصل الأول

الإصلاح والتغيير في سورة الرعد

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: مدخل إلى سورة الرعد .
- المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد .

المبحث الأول

مدخل إلى سورة الرعد

ويشتمل على ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها .
- المطلب الثاني: نزول السورة .
- المطلب الثالث: فضل السورة .
- المطلب الرابع: محور السورة .
- المطلب الخامس: المناسبة بين اسم السورة ومحورها .
- المطلب السادس: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها .
- المطلب السابع: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها .
- المطلب الثامن: المناسبة بين خاتمة سورة الرعد وفاتحة سورة إبراهيم .

المبحث الأول

مدخل إلى سورة الرعد

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها:

سورة الرعد هي السورة الثالثة عشر في ترتيب المصحف، وسميت منذ العهد النبوي، وهذه السورة من أعجيب السور القرآنية التي تأخذ في نفس واحد، وإيقاع واحد، وجو واحد، وعطر واحد من بدئها إلى نهايتها، والتي تفعم النفس، وترحم الحس بالصور والظلال والمشاهد والحوالج، والتي ترتاد بالقلب آفاقاً وأكواناً وعوالم وأزماناً، وهو مستيقظ، شاعر بما يموج حوله من المشاهد والموحيات .

إنها ليست ألفاظاً وعبارات، إنما هي مطارق وإيقاعات: صورها، ظلالها شاهدها، لمساتها الوجدانية التي تكمن وتتوزع هنا وهناك (١) .

وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد لورود ذكر الرعد في قوله ﷻ: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...﴾ [الرعد: ١٣]، وذكر السحاب، والرعد، البرق، الصواعق، الأمطار (٢) .

وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية في المصحف الكوفي، وأربع وأربعون آية في المدني، وخمس وأربعون في البصري، وسبع وأربعون في الشامي (٣) .

عدد كلماتها: ثمانمائة وخمس وستون كلمة، حروفها: ثلاثة آلاف وخمسمائة حرف وستة أحرف (٤) .

المطلب الثاني: نزول السورة:

هذه السورة مكية في قول مجاهد (٥) وروايتها عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٣٩/٤) .

(٢) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (١٨٤٧/٣) .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (٤٣١/٧) .

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٦٣/٧)، دار الفكر العربي، القاهرة .

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي، مولاها المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، توفي ١٠٣ هـ . انظر:

تقريب التهذيب، ابن حجر، (٥٢٠)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦ م.

علي ابن أبي طلحة^(١) وسعيد بن جبير عنه وهو قول قتادة^(٢) .

وعن ابن جريج^(٣) وقتادة في رواية عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنها مدنية .

وجمع السيوطي وغيره بين الروايات بأنها مكية إلا آيات منها نزلت بالمدينة، يعني قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد:١٢] إلى قوله ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد:١٣]، وقوله: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٤٣] .

ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي، والأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية أخبار واهية .

ولا مانع من أن تكون مكية ومن آياتها نزلت بالمدينة وألحقت بها .

فالذين قالوا: هي مكية لم يذكروا موقعها من ترتيب المكيات سوى أنهم ذكروها بعد سورة يوسف وذكروا بعدها سورة إبراهيم، والذين جعلوها مدنية عدوها في النزول بعد سورة القتال، وقبل سورة الرحمن، وعدوها سابعة وتسعين في عداد النزول، وإذ قد كانت سورة القتال نزلت عام الحديبية أو عام الفتح تكون سورة الرعد بعدها^(٤) .

المطلب الثالث: فضل السورة:

أخرج ابن أبي شيبة في الجنائز عن جابر بن زيد رضي الله عنه قال: "كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت، فإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه"^(٥).

(١) علي بن أبي طلحة واسمه سالم مولى العباس عبد المطلب، أصله من الجزيرة وانتقل إلى حمص . انظر: تهذيب الكمال للمزي، (٤٩٥/٢٠)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي، كان يكنى أبا الخطاب، وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث . انظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري البغدادي المعروف بابن سعد (١٧١/٧) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، توفي سنة ١٥٠ أو بعدها ، وقد جاز السبعين أو جاز المائة . انظر: تقريب التهذيب (٣٦٣/١) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، (٧٦/٧) ، دار سحنون للنشر والتوزيع .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجنائز (١٢٤/٣) باب (ما يقال عند المريض إذا حضر) بصيغة (أنه كان يقرأ عند الميت سورة الرعد) وهو حديث مرسل، الدر المنثور في التفسير المأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، (٥٩٩/٤)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣م-١٤١٤هـ.

المطلب الرابع: محور سورة الرعد:

أهم ما اشتملت عليه هو ما يأتي :

- ١- بدأت السورة بإقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته .
- ٢- إثبات البعث والجزاء في عالم القيامة .
- ٣- الإخبار عن وجود ملائكة تحفظ الإنسان وتحرسه بأمر الله .
- ٤- إيراد الأمثال للحق والباطل .
- ٥- البشارة بجنان عدن للمتقين، والإنذار بالنار للمفسدين في الأرض.
- ٦- بيان مهمة الرسول وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده .
- ٧- إثبات ظاهرة التغيير في الدنيا، مع ثبوت الأصل العام لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ .
- ٨- ختمت السورة بشهادة الله لرسوله ﷺ بالنبوة والرسالة (١) .

المطلب الخامس: المناسبة بين اسم سورة الرعد ومحورها:

سميت بإضافتها إلى الرعد لورود ذكر الرعد في قوله ﷻ: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ... ﴾ [الرعد:١٣]، فسميت بالرعد لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة، فإن هذه السورة مكية كلها أو معظمها، وإنما ذكر الرعد في سورة البقرة وهي نزلت بالمدينة^(٢) .

وبالإضافة للرعد ذكر أيضاً في السورة البرق والصواعق وإنزال المطر من السحاب: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا... ﴾ [الرعد:١٢] إلى قوله: ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد:١٣] .

والمطر أو الماء سبب للحياة، حياة الأنفس البشرية والحيوان والنبات، والصواعق قد تكون سبباً للإفناء، وذلك مناقض للماء الذي هو رحمة، والجمع بين النقيضين من العجائب^(٣)، فما أجل وأعظم قدرة الله تعالى هذا السحاب من ماء ومن نار، جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب.

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د.وهبة الزحيلي، (٩٨/١٣)، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ .

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٧٥/١٣) .

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، (٩٦/١٤-١٣) .

المطلب السادس: المناسبة بين افتتاحية سورة الرعد وخاتمتها:

تدور افتتاحية السورة حول حقبة القرآن الكريم، وحول إثبات رسالة محمد ﷺ، وأنه لا يحتاج إلى الآيات التي يطلبها المتعنتون (١).

ويختم السورة بحكاية إنكار الكفار للرسالة، فيلقي البدء والختام، ويشهد الله مكتفياً بشهادته، وهو الذي عنده العلم المطلق بهذا الكتاب وبكل كتاب، وتنتهي السورة وقد طوفت بالقلب البشري في أرجاء الكون، وأرجاء النفس، ووقعت عليه إيقاعات مطردة مؤثرة عميقة، وتركته بعد ذلك إلى شهادة الله التي جاء بها المطع وجاء بها الختام، والتي يحسم بها كل جدل وينتهي بعدها كل كلام (٢).

إنها آيات عظيمة تكشف لنا أسرار الخلق والتكوين، وتهدينا إلى الحكمة من الخلق والإيجاد، وتبين لنا عظيم النعم التي حباها الله ﷻ، إنه كلام مشوق تنصت إليه النفس، ويلذه السمع، ويستثير المشاعر والأحاسيس.

المطلب السابع: المناسبة بين فاتحة سورة الرعد وخاتمة سورة يوسف:

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

إنه سبحانه أجمل في سورة يوسف الآيات السماوية والأرضية في قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، ثم فصلها هنا أتم تفصيل في مواضع منها:

١- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

٢- أنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] ثم فصل الأدلة في سورة الرعد بإسهاب لم يذكر في سالفها.

٣- أنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفي ذلك تسلية ﷻ، وتنشيط لقلبه.

(١) دروس في التفسير، تفسير سورة الرعد، د. يوسف القرضاوي، (٢٧٨)، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

(٢) سيد قطب (٢٠٦٦/٤).

٤- جاء في آخر سورة يوسف وصف القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] ، وفي أول سورة الرعد: ﴿المرتلِكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] (١) .

المطلب الثامن: المناسبة بين خاتمة سورة الرعد و فاتحة سورة إبراهيم:

١- ذكر ﷺ في سورة الرعد أنه أنزل حكماً عربياً ولم يصرح بحكمة ذلك وصرح بها في سورة إبراهيم .

٢- اشتملت سورة الرعد على تمثيل الحق والباطل، واشتملت سورة إبراهيم على ذلك .

٣- اشتملت سورة الرعد على رفع السماء بغير عمد، ومد الأرض، وتسخير الشمس والقمر، وذكر نحو ذلك في سورة إبراهيم (٢) .

وترى الباحثة وبعد تدبر للآيات المناسبة بين خاتمة سورة الرعد و فاتحة سورة إبراهيم: قال ﷺ في خاتمة الرعد: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٢-٤٣] .

وفي فاتحة سورة إبراهيم: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣] .

١- في خاتمة الرعد ذكر المكر مجملاً، أما في فاتحة إبراهيم فصل في كيفية مكرهم .

٢- في خاتمة الرعد ذكر ﷺ قول الذي كفروا ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾، وفي فاتحة سورة إبراهيم قال ﷺ: أنت مرسل ولست كما يقول الذين كفروا وهذا الكتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور .

(١) تفسير المراغي، (٦٠/١٣) .

(٢) انظر: تفسير المراغي، (١٢٢/١٣) .

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد

ويتكون من أربعة مطالب:

- المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الرعد.
- المطلب الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الرعد.
- المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الرعد.
- المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الرعد.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد

المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الرعد:
أولاً: الإيمان بالله تعالى:

﴿ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْثِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرٌ صِنْوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّصَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ١-٤] .

تبدأ السورة بقضية عامة من قضايا العقيدة: قضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه، وتلك هي قاعدة بقية القضايا من توحيد الله، ومن إيمان بالبعث ومن عمل صالح في الحياة، فكلها متفرغة عن الإيمان بأن الأمر بهذا هو الله، وأن هذا القرآن وحي من عنده ﷺ إلى رسوله ﷺ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بأنه موحى به، ولا بالقضايا المترتبة على الإيمان بهذا الوحي من توحيد الله ودينونة له وحده (١) .

وكيف لا تؤمنون به، وهو الذي رفع السموات، ثم استوى على عرشه، يدبر أمر الملكوت، وسخر الشمس والقمر كل يجري في فلكه إلى نهاية الحياة الدنيا، يدبر أمر مخلوقاته، ويفصل الآيات بذكر القصص، وضرب الأمثال ليهيئكم ويعدكم بقاء ربحكم، فتؤمنوا به، وتعبده، وتوحدوه .

وهو الذي مد الأرض، وجعل فيها جبلاً ثوابت، ومن كل الثمرات جعل نوعين وضربين، ويغطي ﷻ النهار بالليل لتستريح أبدانكم من عناء الليل، في كل هذا علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى، وعلمه، وقدرته، وحكمته على وجوب عبادته، وتوحيده وعلى الإيمان بوعده ووعيده (٢) .

وفي الأرض جنات وبساتين من زروع، ونخيل، وأعناب، وغيرها من الفواكه .

(١) في ظلال القرآن ، (٢٠٤٤/٤) .

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، (٨/٣)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م .

إن أشجار النخل قد تكون متماثلة وغير متماثلة مع اتحاد التربة، والزرع يسقى كله بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل .

أليس في هذا دليل على بديع صنعه وعظيم قدرته ؟

إن في ذلك لآيات وحججاً، ولكن لقوم يعقلون ويتدبرون بفكر حر وعقل سليم (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

الإيمان بالله ﷻ رأس كل فلاح، وأس كل نجاح ، فما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيتته في النفوس .

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾ [النحل:٣٦]، فلا صلاح ولا تغيير، ولا عز، ولا فلاح للأفراد والجماعات إلا بالإيمان بالله إيماناً جازماً وبقيناً .

ولا شقاء، ولا ذلة، ولا خسارة إلا بالتفريط أو التقصير فيه .

ولا أدل على ذلك من حالة الأمة الإسلامية في ماضيها، وحاضرها لما كانت متمسكة بالإيمان بالله تمسكاً قوياً متيناً، عز شأنها، وعلت بين الأمم رايتها، ولما رق إيمانها، وخف وزن العقيدة في نفوس أهلها هبطت من عليائها، وهوت من شامخ عزها .

إن الإيمان الحق هو الإيمان الثابت القوي الدافق، لا الإيمان المززعج النائم، وما استطاع الضلال أن يسود أفقنا إلا في غيبة الإيمان الصحيح، وما نستطيع الفكاك من قيوده إلا بإعادة الإيمان الصحيح إلى القلوب الفارغة، ولا يجتمع إيمان بالله مع ولاء للطاغوت وحكم للجاهلية.

يقول سيد قطب: "إن الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية لا من ناحية التصور ولا من ناحية الأوضاع المنبثقة من هذا التصور ... فإما إسلام وإما جاهلية، وليس هناك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جاهلية يقبله الإسلام ويرضاه، فنظرة الإسلام واضحة في أن الحق لا يتعدد، وأن ما عدا هذا الحق فهو الضلال، وهما غير قابلين للتلبس والامتزاج" (٢) .

لو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ، إلى فناء الكون، نسوا الله وكفروا به ما خدش ذلك شيئاً من جلاله، ولا نقص ذرة من ملكه، ولكن "لا توجد ذرة في الأرض ولا في السماء تستمد

(١) التفسير الواضح، (٢/٢١٥)، الحجازي محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٣ هـ .

(٢) معالم في الطريق، سيد قطب، (١٥٠)، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .

وجودها من ذاتها حتى يتصور استغناؤها بنفسها، بل على العكس، هذا الوجود المفاض عليها يتلاشى ويضمحل إذا شاء مفيضة أن يحرمها منه، مثلما يتقلص إذا ذهب ما يلقيه لن يكون النهار إلا مع وجود الشمس، ولن يكون عالم إلا مع وجود الله" (١) .

إن التوحيد يمتلئ من قلب المؤمن حتى إنه ليؤثر دوام بقاء نعمة الإيمان على ملك الدنيا مع زوال الإيمان، ولو ساعة، وإنه ليدفع المؤمن إلى بذل روحه رخيصة في سبيل الله .

كما أنه يجعل صاحبه لا يبالي بسلطان ظالم وبطشه، أو إديار دنيا، أو نزول عذاب، ولو كان هو باب الموت، وما أصدق قول سحرة فرعون بعد إيمانهم بقليل له: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٢-٧٣] .

الإيمان بالله تعالى يرفع صاحبه إلى نبذ الملك، وإغضاب الحاكم، ولتكن العاقبة بعد ذلك الصلب حتى الموت كما كان من آسيا المؤمنة امرأة فرعون: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحریم: ١١] (٢) .

الإيمان بالله ينفع العبد وينفع المجتمع، وهو ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وهو ضرورة للمجتمع ليبقى ويتماسك، والمجتمع بغير إيمان بالله مجتمع غابة مجتمع تعاسة وشقاء، وإن زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم، فيا من تريدون أن يمكن الله لكم في الأرض، ويعزكم بعد الذل عليكم بالعودة الصادقة إلى الله، بترك الذنوب والمعاصي التي تميت القلوب وتورث الذل، وتقربوا إلى الله بالعبادات والطاعات التي تفتح لكم أبواب النصر والتمكين .

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ (٣) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١] .

الملائكة مخلوقات نورانية، من جملة عالم الغيب، بشهادة الله في هذا الكون وجعل لها وظائف جمة ومهام عظيمة .

(١) عقيدة المسلم، محمد الغزالي، (٣٤)، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

(٢) انظر: أركان الإيمان، وهي سليمان الألباني، (١١١، ١١٢)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

(٣) المعقبات: ملائكة الليل والنهار؛ لأنهم يتعاقبون، وإنما أنثت لكثرة ذلك منها . لسان العرب (١/٦٢٠) .

والملائكة لا توصف بأنوثة ولا بذكورة، ولكن من ناحية الضمائر وغيرها تجري مجرى الذكور، فيقال فعلوا كذا وكذا .

وهي جند من جنود الله ﷻ يتعاقبون على الإنسان، بحيث لا توجد فترة بلا حراسة، ولا حفظة، لكنهم لا يغنون عن الإنسان من أمر الله شيئاً إذا ضيع ما يقتضي عقوبته، بل تنزل به العقوبة الإلهية، لأن هؤلاء لا يردون سنن الله، بل هم يمضون مع سنن الله، ويعملون في دائرتها.

إذا غير قوم ما بأنفسهم من الطاعة إلى المعصية، أو من الرشد إلى الغي، فإن الله يغير ما بهم، ويشمل التغيير العكس، أي إذا غير هؤلاء القوم ما بأنفسهم فتحولوا من المعصية إلى الطاعة، ومن الظلم إلى العدل فإن الله يغير ما بهم ويصلح بالهم (١) .

إن أثر الإيمان على الإنسان لا يخفى بما يضيف على نفسه من سعادة وطمأنينة تجعل من حياته منبعاً للأعمال الصالحة من الإيمان بالملائكة جزء من ذلك الإيمان الذي يهذب النفوس ويربيها على الخلق القويم، والعمل الصالح .

إن الله ﷻ لا يطلعنا على شيء إلا وفيه نعمة عظيمة على الخلق، وكان من فضله علينا أن عرفنا عن هذه المخلوقات الكريمة، واعتبر الإيمان بها من الإيمان بالغيب، فمن آثار الإيمان بالملائكة على الوجه الصحيح، معرفة خطأ من أخطأ، وضلال من ضل، في معرفة الملائكة كالفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة هي النجوم والكواكب، أو الجاهلين الذين زعموا أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله، تعالى وتنزه أن يكون له ولد، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الرُحرف: ١٩]، فالإيمان بالملائكة على الوجه الذي دل عليه الكتاب والسنة ينفي هذه الأقاويل ويبطلها .

هذا من آثار الإيمان بالملائكة في الاعتقاد والتصور، أما أثر الإيمان بالملائكة في العبادة والسلوك .

بذل الجهد في طاعة الله، والافتداء بالملائكة الكرام الذين يتفانون في طاعته مع عصمتهم من الذنوب، وقربهم من الله ﷻ: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التَّحريم: ٦] .

دفع الغرور عن النفس من الافتخار بالعمل، والاعتزاز به، فالملائكة على دوام طاعتهم خاضعين له سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، والمسلم مهما بلغ في

(١) انظر: دروس في التفسير، (١٤٠-١٤٢) .

عبادته، فلن يبلغ تعداد عبادة الملائكة، فهو أولى بنبذ الكبر والاعتزاز بالعمل .

الاجتهاد في البعد عما حرمه الله، ونهى عنه خوفاً من الله أولاً، ثم حياءً من الملائكة الذين لا يفارقون بني آدم ولا سيما أن الله وصفهم بأنهم كرام: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] .

فإن الإنسان قد تستولي عليه الشهوة، ويغفل عن مراقبة الله له، فإذا علم أن معه من لا يفارقه من الملائكة الكرام كان ذلك باعثاً له على الحياء، والانكفاف عما هو مقدم عليه من معصية الله، فإذا كان في مكان يعلم أن فيه أجهزة تصنت عليه، فإنه يحترس من الكلمة يقولها فكفى بهذا رادعاً للإنسان أن يقترب المنكرات أو يسير في ركب الشيطان، بل لا بد أن يحاسب نفسه، وأن يقف مع نفسه يراقبها ويؤدبها.

والإيمان بالملائكة يدعو للصبر والجهاد في سبيل الله، وعدم اليأس وشعور بالطمأنينة، فهذا من لوازم الإيمان بالملائكة، فعندما يضل الراكب في الطريق، وتسود الجاهلية، ويصبح المؤمن غريب في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الاستهزاء والتثبيط على طاعة الله، والاستقامة على أمره ... في هذه الغربة يجد المؤمن أنيساً ورفيقاً يرافقه ويواسيه ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معه، تعبد الله كما يعبد، وتبارك خطواته، وتشد أزره، وتذكره بالخير عند ربه، فهو إذاً ليس وحده في الطريق إلى الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون) (١) .

الإيمان بالملائكة يشجع المؤمن على طلب العلم والاستزادة فيه، وهذا ما يفتح للإنسان آفاق المستقبل، لما يعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، وأنها تحفه وتنزل السكينة على قلبه .

كما تثبت المؤمنين في مواطن التثبث بما يلقونه في قلوبهم من التأييد، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الأأنفال: ١٢] .

إن المتدبر لآيات القرآن يجد مهام عظيمة للملائكة، لم أستطع أن أكتبها جميعاً خوفاً الإطالة .

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٣٩١) ح (٣٢٢٣).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

علينا أن نفهم أنه بعد أن ضعف الإيمان في النفوس، وضعفت الصلة بالله، تقشى الجهل بأمور الدين والدنيا معاً، وكثرت البدع والخرافات، وذهبت بذلك قوة المسلمين، وأصبحوا ينحدرون من سيء إلى أسوأ .

فلا نصر ولا تمكين إلا بالرجوع إلى منهج الله، فكل بناء أو إصلاح أو تغيير اجتماعي لا يقوم على إصلاح العقيدة، وتربية الأنفس، أشبه ببناء على كثران من الرمال، ويوم أن يتمسك المسلمون بإيمانهم على الوجه الصحيح، عندئذ يعود لهم مجدهم وينصرهم الله على عدوهم، ويباهي الله بهم الملائكة .

ثالثاً: الإيمان بالغيب وبالقضاء والقدر:

الغيب لغة: كل ما غاب عن العيون، وما كان محصلاً في الصدور فهو غيب (١) .

الغيب شرعاً: الأمور التي استأثر الله تعالى بها، واختص بها نفسه جل وعلا دون من سواه من ملك مقرب أو نبي مرسل، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء (٢) .

القضاء لغة: الحكم والفصل (٣) .

القضاء شرعاً: هو ما قضى به الله ﷻ في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير (٤) .

القدر لغة: مصدر قدرت الشيء، أفدّره وأقدره، إذا أحطت بمقداره (٥) .

القدر شرعاً: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك (٦) .

من صفات الله تعالى أنه الفعّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، وأراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وأجالهم، يهدي

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (٦٦٣) .

(٢) أشراف الساعة، عبد الله بن سليمان الغفيلي، (١٥)، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .

(٣) مجمل اللغة، (٣٠٧/١) .

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، (٢٤٣/١) .

(٥) مجمل اللغة، (٧٤٥) .

(٦) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، (٢٤٣/١) .

من يشاء بحكمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون لأنهم مربوبون محكومون، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] (١).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ٨-١١].

يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه يحيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، سواء كانت تحمل ذكراً أو أنثى، تماماً أو خداجاً، ويعلم ما تنقص الأرحام، ويحتمل أن يكون الغيض (٢) والزيادة بمدة الولادة، وكل شيء عنده بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه، وهو يعلم كل شيء مما يشاهده العباد، وما يغييب عنهم، العظيم الشأن، الذي كل شيء دونه، وهو أكبر من كل شيء، سبحانه يعلم المخفي في ظلام الليل، والظاهر الماشي في بياض النهار وضيائه (٣).

الله ﷻ يتعقب البشر بالحفظة، لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم فإنه لا يغير نعمة أو عزا أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم (٤).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

الإيمان بالغيب جزء من الإيمان بالله الواحد القهار، لا ينفك عنه، قال رسول الله ﷺ: (يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب، أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف، فلا يزال فيه ولا ينقص) (٥).

(١) انظر: لمعة الاعتقاد، موفق الدين المقدسي، (٨٩-٩١)، شرح محمد بن صالح العثيمين، حققه أبو محمد

عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) تغيض: ما نقص الحمل عن تسعة أشهر، لسان العرب، (٢١/٧).

(٣) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، (٥/٢٢٣٤)، دار السلام للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-

١٩٨٥م.

(٤) في ظلال القرآن، (٤/٢٠٤٩).

(٥) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه، (٤/٢٠٣٧)، ح (٢٦٤٤).

ولقد ربّى الإسلام أتباعه على اليقين بالغيب وبالقضاء والقدر، فهذا رسول الله ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقاليم وجفت الصحف)^(١).

فجنوا ثمرات إيمانهم بالغيب وبالقضاء والقدر، طمأنينة القلب وارتياحه، بخلاف من لا يؤمن بالقضاء، فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق، حتى يتبرم بالحياة، ويحاول الخلاص منها ولو بالانتحار .

وإذا تساءلنا كيف يجتمع الرضا بالقضاء والمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها؟ وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له، والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا، واجتماع الضدين محال؟ قيل: "الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة، ومكروهاً من جهة أخرى، كشراب الدواء النافع الكريه، فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له، وكصوم اليوم الشديد الحر، فإن الصائم يرضى به مع شدة كراهته له، وكجهاد الأعداء"^(٢) .

فالمسلم ينظر إلى المصيبة على أنها قدر من الله تعالى، يجب عليه أن يقابلها بالصبر، فقد تكون وراءها حكمة عظيمة لا يعلمها إلا الله ﷻ، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

فالطبيب يبضع بطن المريض، فإذا رآه الجاهل حسبه عدواً للمريض، ولكنه يبضع بطن المريض لحكمة غابت عن ذلك الجاهل .

"فلولا قدر المرض لما شعر أحد بنعمة الصحة، ولولا قدر الحياة ما جاء أحد إلى الأرض، ولولا قدر الموت لتزاحم الأولون والآخرون على هذه الأرض"^(٣) .

المسلم لا يعترض على قضاء الله وقدره، إن كان فقيراً أو ضعيفاً لأنه يعلم أن الفقر والغنى والقوة والضعف إنما هي من قضاء الله يختص بها من يشاء من عباده، وبذلك يحمل قلباً نظيفاً طاهراً من الحقد والحسد والغش والضغينة لإخوانه؛ لأنه إن نظر إلى أخ من إخوانه،

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، كتاب القيامة، ح (٢٥١٦)، (٥٦)، حكم على أحاديثه محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، وقال الألباني: حسن صحيح .

(٢) شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، (٥٤٦)، مكتبة دار التراث .

(٣) التوحيد، عبد المجيد الزندان، (٩٤)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ -

ووجده في نعمة فهو يعلم يقيناً أن الذي أنعم عليه بهذا العليم الحكيم، لحكمة لا يعلمها إلا هو، فلا يجزع ولا يضجر، ولا يتواكل، ولا يتكاسل، ولا يفتح عمل الشيطان .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

الإيمان بالغيب وبالقضاء والقدر ليس استكانة للعدو، ولا ذلاً أمام الظالم، ولا خضوعاً للواقع، بل إقدام، ونصر، وتمكين بإذن الله .

فالمسلم حينما يتدبر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٨-٩] .

يندفع المسلم إلى طاعة الله، والإقبال عليه بكل ما أوتي من عزم وقوة، يتقدم لا يخاف في الله لومة لائم، طالما إيمانه في قلبه، وقلبه بيد ربه، وربه ناصره ومعينه .

لقد غرس المسلمون هذه العقيدة في نفوسهم، فحرروا البلاد والعباد، ورفعوا راية الحق خفاقة في ربوع المعمورة، قدموا الله في كل شيء، وخافوا الله أكثر من أي شيء، فاستحقوا قول الله فيهم: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] .

لما تزعزعت عقيدة الإيمان بالغيب وبالقضاء والقدر في بعض نفوس المسلمين، هانت عليهم عزتهم، وكرامتهم، وأوطانهم، وسُلبت منهم كل الحياة الكريمة.

ولن يخرج المسلمون من أزمتهم، ويرفع عنهم إصرهم، والأغلال التي صارت عليهم ويردهم إلى عزتهم، إلا العودة الصحيحة الصادقة إلى الدين الذي أنعم الله به عليهم وحباهم إياه .

ولن يخلص البشرية من أزمتها، ويحل لها ما عقدته من مشكلات في جاهليتها المعاصرة، إلا المنهج الرياني .

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، (١٠٢٧)، ح (٢٦٦٤).

رابعاً: الخوف والرجاء:

الخوف لغة: الذعر (١) .

الخوف في منزلة عظيمة من منازل العبودية، وهو من عبادات القلوب التي لا تكون إلا لله سبحانه، وصرفها لغيره شرك أكبر، إذ إنه من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه، ونفاذ مشيئته في خلقه .

وينقسم إلى قسمين:

* **خوف العبادة:** هذا صرفه لغير الله شرك، كأن يخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ، خوف العباد من الله ﷻ أعلى مراتب الإيمان إذ لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله .

* **الخوف الطبيعي:** هو أن تخاف من شيء ظاهر، كأن تخاف من الحية أو العقرب أو العدو، هذا لا يسمى شركاً، بل يسمى خوفاً طبيعياً (٢) .

* **الرجاء لغة:** الطمع فيما يمكن حصوله، ويراد منه الأمل، ويستعمل في الإيجاب والنفى (٣) .

منزلة عظيمة من منازل العبودية، وهي عبادة قلبية تتضمن ذلاً وخضوعاً، أصلها المعرفة بجود الله وكرمه وعفوه وحلمه .

ومنه ما هو محمود، كرجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه فهو راجٍ لمغفرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

ومنه ما هو مذموم كرجل متمادياً في التفريط، يرجو رحمة بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب (٤) .

وقد تطرقت سورة الرعد إلى منزلة الخوف والرجاء من خلال الآيات التالية:
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] .

(١) مجمل اللغة، (٣٠٧/١) .

(٢) انظر: شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (١٣٥/١)، مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

(٣) الكليات، (٤٦٨/١) .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين الدمشقي، (٣١٢/١)، تحقيق: أحمد شاکر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

يطلب الكفار تعجيل العذاب تمرداً وطغياناً، ولم يتعظوا بما أوقع الله بالأمم السالفة من العقوبات، كما فعل بقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح وغيرهم .

ثم بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب، فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة منها: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] (١) .

من اعتقد أنه مراقب في أقواله وأفعاله محسوبة عليه حركاته وتصرفاته، بل أفكاره وإرادته، وأنه معروض يوماً على محاسب دقيق خبير شديد العقاب، ذي الطول، فريد البطش عظيم الانتقام، من اعتقد ذلك لا ريب أنه يتأنى في أقواله وأفعاله، ويتروى في تصرفاته كيلا يطوله العقاب الشديد، وينجو من العذاب الأليم .

ومن يتقن أن مالك الملك، رب العالمين، غفورٌ، رحيمٌ، حلِيمٌ يعطي الكثير على القليل، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، من يتقن ذلك لا ريب أنه يحسن القول والعمل حيث يراه سبحانه لشدة حاجته إلى فضله ودوام فقره إلى جوده وعطائه .

إن المحب الصادق في مقام موزون بين الخوف والرجاء، يخاف ربه ويرجو رحمته، لا يُغَلَّب جانب الخوف فيقع في اليأس والقنوط، ولا يُغَلَّب جانب الرجاء فيقع في الغفلة والندامة .

قال العلماء: إن على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء، فالخوف يبعده عن المعاصي، والرجاء يحمله على الطاعات، ومن العلماء من يقول: لا بد أن يستوي الخوف والرجاء كقوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] (٢) .

ومما يجدر ذكره أن بعض السلف غلب جانب الخوف، وبعضهم غلب جانب الرجاء، ولعل الصواب في ذلك أن المسلم يُغَلَّب جانب الخوف إذا كان في صحة وعافية، ويغلب جانب

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (٢/٢٢٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

(٢) فوائد من شرح كتاب التوحيد، عبد العزيز السدحان، (١/٩٦)، دار المسلم للنشر والتوزيع .

الرجاء إذا كان في مرض مخوف لقوله ﷺ: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) (١) .

فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يغلب جانب الرجاء عند الموت (٢) .

هذا المنهج هو الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، ومن اتبعهم بإحسان فقال ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] .

خافوا من الله، وعملوا الصالحات، ورجوا رحمة الله، فبشروا بالجنان، قال عليه الصلاة والسلام: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة) (٣) .

كانوا في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن بين التقصير، بل التفريط والأمن.

امتدحهم رب العزة فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

هكذا ينبغي أن تربي العواطف الربانية عند الناشئين باعتدال وابتزان، فلا يقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهى الله عن هذا اليأس فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ، ولا يتمادى العاصي مغترًا برحمة الله ومغفرته، مسؤف ومؤجل توبته إلى الله .

لما تحلى المسلمون الأولون بهذه العقيدة، كانوا سادة وقادة، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، وتحققت لهم السعادة العظمى في الدنيا والآخرة .

إن العقيدة ما إن تتمكن من قلب المسلم، حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى، والرجاء منه وحده، وهذا التحرر من العبودية لغير الله تعالى هو الذي جعل جندياً من جنود

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، (٢٢٠٦/٤)، ح (٢٨٧٧)

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز، حياة بن محمد بن جبريل، (٢٤٦/١)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، (٦٣٣/٤)، ح (٢٣٧٤)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٦٣٨/٢) .

الإسلام - ربي بن عامر (١) - يقف في إيوان كسرى ويقول: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" (٢).

ولما استبدل بعض المسلمين خوف الله، بخوف الطواغيت، ورجاء المعبود برجاء العبيد، ورضا الكريم برضا الذليل، ضاعت الأمجاد، وسلبت الأوطان، وظهر الفساد في البر والبحر، وتشعبت بنا الهموم والمشاكل .

فإن كنا نريد الإصلاح الجذري لحياتنا، فلا إصلاح إلا بالإيمان الحق، والموازنة بين الخوف والرجاء، فهو الحل الفذ لعقد الحياة المعاصرة التي استعصت على العلم، وعلى الفلاسفة، وحرار فيها المفكرون وطلاب الإصلاح .

المطلب الثاني : منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الرعد:

أولاً: صفات المؤمنين وجزأؤهم:

لقد حدد رسول الله ﷺ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته بقوله: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) (٣) .

فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهداً كبيراً في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لا تتشد أكثر من تدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم .

فلا شك في أن التربية والأخلاق هي الخطوة الأولى لبناء المجتمع المسلم، وإقامة الخلافة الإسلامية التي بشر بعودتها رسول الله ﷺ .

وقد تطرقت سورة الرعد لثلة من الفضائل والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون .

(١) ربي بن عامر : أدرك النبي ﷺ، وشهد فتح دمشق، ثم خرج إلى القادسية . تاريخ دمشق، ابو القاسم علي ابن الحسن المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو العمروي (٤٩/١٨)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥-١٤١٥ م .

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود (٦١/١)، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٧-١٤٠٧ م .

(٣) مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، سند أبي هريرة، (٥١٣/١٤)، ح (٨٩٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط صحيح، وهذا إسناد قوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠١ م .

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ [الرعد: ١٩-٢٤] .

تضمنت الآيات مقارنة ومفاضلة بين شخصيتين الأولى شخصية مؤمن، والثانية شخصية كافر، وبين ما لهما من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة .

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان، ويتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق ومن صفاتهم:

الوفاء بالعهود وعدم نقضها، ووصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والأرحام، وخشية الله المقتضية لطاعته، والخوف من سوء الحساب يوم القيامة المقتضي لمحاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة، والصبر عن المعاصي وعلى البلاء وعلى الطاعات، وإقامة الصلاة بكل الشروط والأركان والسنن، الإنفاق في سبيل الله، دفع السيئة بالحسنة .

فجزاؤهم جنات عدن، تدخل عليهم الملائكة تهنئهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة سلام عليكم بما صبرتم على الإيمان والطاعة (١) .

"جاء الإسلام لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عدَّ الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابتعاداً عنه، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي من أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذوبها، وقد أحصى الإسلام بعدد الفضائل كلها ، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة" (٢) .

يتصف الأنبياء بأكرم الصفات، وأسمى الآداب والأخلاق لينشروا دين الله ودعوة التوحيد في الأرض، ونبينا ﷺ هو في قمة الخلق والأدب .

وقد مدحه الله ﷻ في آيات كثيرة منها: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٢٤/٣) .

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، (١٠)، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى .

والآيات الحاثات على الخلق العظيم كان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلاً ليناً، قريباً من الناس، محبباً لدعوة من دعاه، جابراً لقلب من سأله، ولا يرده خائباً وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور... " (١) .

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: (كان خلقه القرآن) (٢) ، وقد سأل الرسول ﷺ أصحابه يوماً (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (٣) .

ترى السلف رضوان الله عليهم على الإيمان بالله ورسوله، والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، طبقوا ما أمر الله به قولاً وعملاً، وامتثلوا الإسلام بأخلاقهم وسلوكهم، أعطوا كل ذي حق حقه ، فكانوا القادة والسادة .

وقد انتشر الإسلام في مناطق واسعة من جنوب شرق آسيا بالأخلاق، ومنها المعاملة التجارية التي كانت سائدة في تلك الأيام بين جنوبي جزيرة العرب وتلك الأصقاع .

إن كل ما في الإسلام من توجيهات وتعليمات تحث على حسن الخلق، وحسب التزام المسلم بدينه يكون حسن الخلق، فإذا ما أهمل قليلاً فقد شيئاً، وحسب إهماله يكون فقدان، وبهذا يقاس المرء المسلم، ولذا لا يصح أن يوصف امرؤ بخلق معين بانتمائه فقط بل بالتزامه .

هؤلاء المؤمنون الذين تخلقوا بأخلاق الإسلام لهم جنات يرزقون فيها بغير حساب ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد:٢٣] ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩] ، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥] ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧] .

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (١/٨٧٨) ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

(٢) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (١/١٢٩)، حقق أحاديثه: محمد ناصر الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/١٩٩٧)، ح (٢٥٨١) .

ويكفي في وصف الجنة قول المصطفى ﷺ: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

ما أحوج المسلمين في هذا الواقع الأليم إلى تلمس خطى رسول الله ﷺ في الفضائل والأخلاق، ودراسة أخلاق ومؤهلات الجيل الأول الذي رباه رسول الله ﷺ، لا سيما بعد أن ابتليت بلادهم بالمحن المتتابعة، والفتن المتنوعة، وانتشرت في بلادهم الأفكار العلمانية، والأخلاق الغربية، وساعدتهم وسائل الإعلام الخبيثة من نشر الفجور والسفور، فأجهزوا على ما تبقى عند المسلمين من عقيدة وأخلاق .

على المرين ولا سيما الآباء والأمهات مسئولية كبرى في تخليق الأولاد على مبادئ الإسلام، فهم مسئولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، والوفاء، والصبر، والمحبة للآخرين، ومسئولون عن تنزيه أسنتهم من السباب، والشتم، والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينم عن فساد الخلق وسوء التربية .

فلا يتصور عز حقيقي للإسلام وخلافة إسلامية على منهاج النبوة حتى ترسخ أخلاقيات لا إله إلا الله حتى تصبح حقيقة سلوكية تنبثق انبثاقاً ذاتياً من داخل النفس .

ثانياً: صفات الكافرين وجزاؤهم:

بعد أن ذكر الله ﷻ الصورة المشرقة لصفات المؤمنين وجزائهم، ذكر بعدها الصورة المعتمة لصفات الكافرين وجزائهم، وهذا ما يسمى بالمقابلة، وهو أسلوب من أساليب القرآن الكريم، ليكون أدعى للامتثال والزجر، فلا عجب بعد أن ذكر الله ﷻ أولي الألباب وجزائهم، ذكر الذين لا ألباب لهم ولا عقول عندهم، ولا يتذكرون ولا يعون .

* قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد: ٢٥-٢٦] .

وصف الله تعالى الأشقياء في هذه الآيات بعدة صفات هي:

١- نقض العهد سواء ما يتعلق به سبحانه من الإيمان بوحديته، وقدرته، وإرادته، أو ما يتعلق بحقوق الناس .

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٤/٢١٧٤)، ح (٢٨٢٤) .

٢- قطع ما أمر الله به أن يوصل، أي قطع كل ما أوجب الله وصله من الإيمان به، وبرسله، وقطع الرحم، والقربات .

٣- الإفساد في الأرض بأعمالهم الخبيثة، يظلمون أنفسهم، وغيرهم، ويرتكبون كل ما يؤدي إلى تخريب البلاد، وإثارة الفتن، ثم أبان تعالى ما يستحق هؤلاء من عقاب، وهو الطرد من رحمة الله (١) .

٤- الانغماس في الحياة والتمتع بملذاتها، وعدم شكر الله على نعمه .
فإن الله يبسط الرزق لمن يشاء بقطع النظر عن كونه مؤمناً، أو كافراً، لأن الدنيا عنده لا تساوي جناح بعوضة فبسط الرزق للكافر لا يدل على الكرامة، والتقتير على المؤمن لا يدل على الإهانة، وهم فرحوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا، ولم يُدركوا الآخرة، ولا حسابها، ولم يعملوا لها أبداً، وما الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا متاع زائل (٢) .

كما أن هناك آيات أخرى في السورة تصف الكافرين، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ تُبْتَوْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٣-٣٤] .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

من كان في دنياه غافلاً، همّه نفسه، وما تشتهي، فلا يغيض بصره عن حرام، ولا يصم أذنه عن منكر، يسبح بخياله، وفكره دائماً في المحرمات، وضرر الناس، ينقض العهود والمواثيق، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويعطي نفسه هواها، وتمتد يدها إلى حقوق، وأذى الآخرين، وتُسرع رجلاه إلى الفساد، ولا ألد شيء عنده من مس الحرام، وكان غافلاً عن الله، فلا يخشاه، ولا يذكره .

يدل نفسه لأي متكبر، ويحني رأسه لكل جبار، ويصد عن سبيل الله، ويتبع سبل الشيطان، ولا يفرق بين الخير والشر، هذا جزاؤه غضب من الله ولعنة، ومصيره جهنم، وبئس المصير .

ولكن ... قد وجد في زماننا هذا من خالف المنهج، وهم كثر اتخذوا من الكفار، والمجرمين قدوة لهم في أقوالهم، وأفعالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وكل شيء، حتى انطبق عليهم

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٥٩/١٣) .

(٢) انظر: التفسير الواضح، (٢٢١/٢) .

قول النبي ﷺ: (لتتبعن سنن^(١) الذين من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن)^(٢) تشبهوا بالكفار في الطعام والشراب والثياب، والغناء والتمثيل والاختلاط والفجور .

فجاءوا لأمتهم بالفتنة، والبوار، والهلاك، والانحراف، وبكل ما يفسدها، ويضعفها، فترت أجيال ساقطة ضعيفة مهزومة لا هم لها إلا إشباع رغباتها، وشهواتها، وأنانيتها .

فإذا نمت الرذائل في النفس، وفشا ضررها، وتفاقم خطرهما، انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعائه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق؟ وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟^(٣) .

والواقع الذي تعيشه الأمة خير شاهد على ذلك، فقد صرنا أضعف الأمم، وسخرية الناس، انتهكت حرمت ديننا، فغيب الإسلام عن الحكم، وحوصر دعائه، وانتهكت أوطاننا، ومقدساتنا .

فهل نستفيق من غفلتنا، ونقتدي بنبينا، ونتشبه بصحابته الكرام، وننبذ أخلاق الكفار، ونسعى إلى إصلاح النفوس، ونشر الوعي التربوي الإسلامي، فنخرج أجيال يتحقق فيها شرط الله ﷻ في الجهاد لإعزاز دينه، فتستحق بذلك أن ينزل عليها نصر الله ﷻ .

ثالثاً: التغيير سنة إلهية ثابتة:

سنة الله هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناء على سلوكهم، وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا، والآخرة .

إن ما يقع في هذا العالم من حوادث ومجريات لا يقع صدفة، ولا خبط عشواء، وإنما يقع، ويحدث وفق قانون عام دقيق ثابت صارم لا يخرج عن أحكامه شيء، والبشر يخضعون لهذا القانون الثابت - الذي يسميه القرآن بالسنن - في تصرفاتهم، وأفعالهم، وسلوكهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية، أو الضيق في العيش، والعز والذل، والرقي والتأخر، والقوة والضعف، وما يصيبهم في الدنيا والآخرة من عذاب، أو نعيم.

إن سنة الله تتسم بالثبات، والاطراد، والعموم، فهي ثابتة لا تتغير، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] ، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

(١) سنن: جمع سنة، وهي الطريقة ولو غير مرضية. الكلبيات، (١/٤٩٧) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٤/١٦٩)، ح (٣٤٥٦) .

(٣) خلق المسلم، (٩) .

تَحْوِيلًا ﴿ [فاطر: ٤٣] ، وهي مطردة لا تتخلف، ويدل على اطرادها أن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة، وما حل بها لنتعظ، ونعتبر، ولا نفعل فعلهم، لنألا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاض، والاعتبار، فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨] .

وتتصف بالعموم، أي أنها عامة يسري حكمها على الجميع، دون محاباة، ولا تمييز، قال تعالى: ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ٥٠-٥١] .

ولولا ثباتها، واطرادها، وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة، وطلب الاعتبار مما حل بهم، ومن هذه السنن : سنة الله في الظلم والظالمين، سنة الله في الفتنة والابتلاء، سنة الله في التدافع بين الحق والباطل .

ولقد اشتملت سورة الرعد على سنة من سنن الله الإلهية، وهي سنة التغيير ^(١)، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

هناك عشرات الآيات التي تتناول هذه السنة، وسوف أذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - ما يأتي :

١ - قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] .

٢ - قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] .

٣ - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥] .

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

٥ - قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ

(١) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، (٧-١٨) مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴿سبأ: ١٥-١٧﴾ .

الأمّة الإسلامية بين الارتقاء والانحدار:

"كانت الجزيرة العربية تعيش على هامش العالم فترة من حياتها غير قصيرة، وكانت "الحضارات" تقوم على أطرافها في الشمال، والجنوب، ويحتك العربي بها في حركتهم التجارية الدائبة في رحلة الشتاء، والصيف، ولكنهم ظلوا عازفين عن تغيير معهود حياتهم، مشغولين بالثارات القبلية المستمرة عن تشكيل دولة ذات حكومة مركزية، تتوحد فيها القبائل، وينشأ عنها حضارة مستقرة" (١) .

وقد كانت الآلهة في حسم متعددة، وكان الضياع والتيه، وكان فساد الأخلاق، وكان ضيق الأفق، وسطحية الاهتمامات، وأنانيتها، وكان الظلم المتبادل .

وحين آمنوا بالله الواحد، وأقروا أنه لا إله إلا الله، تغير هذا كله، فوجدوا بعد ضياع، ورشدوا بعد تيه، وسمت أخلاقهم بعد فساد، وعمقت اهتماماتهم، وبعدت آماها (٢) .

فاخترقت صفوف الأمم، واختطت ديارها، لا دفعتها أبراج المجوس، وخنادقهم، ولا صدتها قلاع الرومان، ومعاقلمهم، ولا فعل في نفوسها غزارة الثروة عند من سواها، ولا راعها جلالة ملوكهم، فكانوا نعم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم مجداً في الدنيا، وسعاة في الآخرة (٣) .

أما حاضر المسلمين فإنه يختلف عن ماضيهم تماماً، فالمسلمون يعيشون في تأخر وضعف، وفي ذلة وانحدار، وقد بدل الله غناهم فقراً، وسيادتهم عبودية، حتى صاروا في ذلك الغناء الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ : (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله مهابتكم من صدور أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) (٤) .

هذا العدد الوافر، والسواد الأعظم من هذه الملة لا يبذلون في الدفاع عن أوطانهم، وأنفسهم شيئاً من فضول أموالهم، يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، كل واحدٍ منهم يود لو

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، (١٧٠)، مكتبة السنة .

(٢) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، (١٦٨)، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الثالثة،

١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٣) انظر: تفسير المنار، (٣٨/١٠) .

(٤) مسند أحمد، (٨٢/٣٧)، ح (٢٢٣٩٧)، مؤسسة الرسالة، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن .

يعيش ألف سنة، وإن كان غذاؤه الذلة، وكساؤه المسكنة، ومسكنه الهوان، تفرقت كلمتنا شرقاً وغرباً، وكاد يتقطع ما بيننا، لا يحن أخ لأخيه، ولا يرقب أحداً في الآخر إلاً ولا ذمة (١)، فجنت الأمة انتشار الجريمة والميوعة، والمبادئ الضالة، والأفكار اللادينية في بلاد الإسلام، وتسلب اليهود على القدس والمسجد الأقصى .

إننا متفقون على ضرورة الإصلاح والتغيير، ولكننا مختلفون على المنهج والطريق، وقبل ذلك على منطلق التغيير، وإن من أكبر الأخطاء أن نحلم بالإصلاح والتغيير ولا نعمل له، ولا نسلك إليه طريقه مستبشرين الوجهة والغاية .

ونحسب أن الإصلاح والتغيير يهبط علينا من السماء هبة من الله، والسماء لا تمطر ذهباً، ولا فضة، ولا إصلاحاً، ولا تنزل ملائكة يتولون أمر إصلاح البشر، وإنما البشر هم الذين يصلحون أنفسهم .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن الإصلاح يجب أن يبدأ منا أولاً، ومن داخلنا، إن قانون القرآن الصلب أن الأقوام لا تتغير بأمر قذري سماوي، بل بجهد بشري أرضي، وهو جهد يتجه إلى الأنفس قبل كل شيء ليغير ما بها من صفات رديئة فاسدة، إلى صفات طيبة سالحة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

وإذا كان شعار الماركسية غير الاقتصاد، والعلاقات الإنتاجية يتغير التاريخ، فإن شعار القرآن غيروا أنفسكم يتغير التاريخ .

وتغيير ما بنفس الإنسان ليس بالأمر الهين السهل كما يتصور بعض الناس، فليس بمجرد الوعظ والإرشاد يتغير ما بنفس الإنسان، وليس بالأوامر العسكرية يتغير الإنسان، ولا بالتنظيمات الشكلية يتغير الإنسان، إنما يتغير الإنسان من داخل نفسه، بتغيير أهدافه، ومثله، ومعتقداته ومفاهيمه، بإضاءة عقله، وتركيزه نفسه، وتهذيب سلوكه، ورجوعه إلى الله (٢) .

ما أحوجنا اليوم، وحتى نلقى ربنا ﷻ للرجوع لهذا المنهج الرباني، ففيه علاج وحل لكل المشاكل التي تثن منها البشرية، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن حفظ أمر الله حفظه الله

(١) انظر: تفسير المنار (٤٠/١٠) .

(٢) انظر: الصحة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د. يوسف القرضاوي، (١٦٠)، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

في الدنيا والآخرة .

رابعاً: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]:

الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنتقل بالكلمات، إنما تسري في القلب، فيحس أنه في هذا الوجود ليس موجوداً بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه (١) .

الدُّكْر لغة : الحفظ للشيء تذكره، وهو جري الشيء على لسانك، وقوله تعالى : ﴿وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣] (٢) .

الْقَلْب لغة : تحويل الشيء عن وجهه (٣) .

ويطلق على معنيين :

أحدهما : اللحم الصوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت، وشكله وكيفيته يتعلق به غرض الأطباء .

المعنى الثاني : هو لطيفة ربانية روحانية لها بالقلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب، والمعاقب، والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني .

وهذا الذي نريده ونعنيه (٤) .

يقول الرسول ﷺ موضحاً، ومبيناً أهمية هذا القلب : (... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (٥) .

وأحسب أن القلب أمير الجسد وقائده، فإذا ضعف القلب، أو فسد، أو استسلم فسدت الجوارح، فالحياة حياة القلب، والموت موت القلب .

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٦٠) .

(٢) لسان العرب، (٣٠٨/٤) .

(٣) المرجع السابق، (٦٨٥/١) .

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٣/٣١) ، دار المعرفة، بيروت .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استرد المدينة، (٢٠/١)، ح (٥٢) ، مسلم، كتاب البيوت، باب الحلال بين والحرام بين (٥٠/٥)، ح (٤٣٠١) .

أقسام القلوب :

١- **القلب الصحيح:** هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى، إرادة ومحبة، وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاء، فإن أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن منع منع الله، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقه، وجله هو ما جاء به الرسول ﷺ .

٢- **القلب الميت:** الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه .

إن أحبَّ أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، لا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد .

٣- **قلب له حياة وبه علة:** فيه بين محبة الله تعالى والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، وفيه من محبة الشهوات، وإيثارها والحرص على تحصيلها، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة .

هو بين داعيين، داعٍ يدعو إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداعٍ يدعو إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جوار .

وقد جمع الله ﷻ بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢-٥٤] (١) .

قال الرسول ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأبي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين :

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية (٥-١١)، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارض، الرياض، المملكة العربية السعودية .

قلبٍ أسود فرماداً كالكوز مُجخياً^(١) لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلبٍ أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض^(٢) .

الدُّكْر: هو قوت قلوب القوم، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطع الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكريات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الدَّاکر مذكوراً، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته .

وهو في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً .

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

[الأحزاب: ٤١-٤٢] .

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان .

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩] .

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته .

كقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] .

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعدَّ الله لهم من الجنة والمغفرة .

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

(١) المجخِّي: المائل، والمعنى: مائلاً عن الاستقامة منكوساً .

كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين الجوزي، (٣٩٦/١)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود (١٢٨/١)، ح (١٤٤) .

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره .

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] .

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكورهم له .

كقوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء .

كقوله تعالى: ﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها .

كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠] .

إذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة .

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم أولوا الأبواب دون غيرهم .

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها .

الله ﷻ قرنه بالصلاة كقوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]، وقرنه بالصيام، وبالحج ومناسكه، وقرنه بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقات الأعداء كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] (١) .

طمأنينة القلب، سعادة يشعر بها الإنسان بين جوانحه، تعمر قلبه، وتشرح صدره، وتريح ضميره .

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية (٢/٣٩٥-٤٠٠)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

هذه الطمأنينة ليست في وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، طمأنينة تتبع من داخل الإنسان، ولا تستورد من خارجه، تكون نتيجة للإيمان بالله، ومحبتة، والشوق إلى لقاءه.

هذه الطمأنينة هي التي غمرت قلب رسول الله ﷺ يوم الهجرة، فلم يصبه هم ولا حزن، ولم يخالج صدره شك ولا قلق .

* قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] .

السعادة التي شعر بنشوتها أحد - المؤمنين الصالحين - إبراهيم بن أدهم ^(١) فقال: (والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف) ^(٢) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن الإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة الإيمان، التي تجعل النفس الإنسانية وحدة متألفة منسقة، تتضاءل أمامها مفرعات الكون، ومن هنا فإننا نجد أن المؤمنين الصادقين، الذاكرين لله ﷻ لم يتعرضوا مطلقاً للأمراض النفسية التي تجر وراءها الأمراض البدنية .

إن الأمراض النفسية لا تظهر إلا مع ضعف الإيمان، أو مع من فقدته، حين تنتسرب الوسواس إلى النفس فتتسأ العقد، وتكثر الحاجة إلى الأدوية المنشطة، والمهدئة، والمخدرة، التي تعمل على تدمير الإنسان، ونشر الفساد الاجتماعي، والاقتصادي، والخلقي، والفكري، والروحي، التي يعاني منها إنسان العصر الحديث ^(٣) .

يلقى الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الأمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه آمناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف .

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد العجلي، يكنى أبا إسحاق، (ت: ٢٦٢هـ)، انظر: تاريخ ابن يونس المصري، (٦/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

(٢) كتاب شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة (١١٢٢)، الفصل الأول في وجوب محبته (١٠٠/٩) .

(٣) انظر: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد الحراشي، (١٦٢)، دار الكتاب الحديث، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .

فيا من شكى الأرض، وبكى الألم، وتفجّع من الحوادث، أقبل إلى الله، بقدر إكثارك من ذكره تراح جبال الكرب، والغم، والأسى فتسعد نفسك، ويرتاح ضميرك، ويطمئن قلبك، لأن في ذكره جل في علاه معاني التوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه، والرجوع إليه، فهو قريب إذا دعي، مجيب إذا سئل .

ويكفي في شرف الذكر أن أهله هم أهل الفوز والسبق، عن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت) (١) .

المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الرعد:

أولاً: النظر والتفكير في مخلوقات الله:

الفكر لغة: "إعمال الخاطر في الشيء" (٢) .

التفكير اصطلاحاً: تصرف القلب بالنظر في الدليل (٣) .

"مبدأ الوصول إلى الحقيقة والعلم والمعرفة الصحيحة كما قال تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣] (٤) .

وليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر، وإنما هو التفكير في قدرة الصانع .

تبدأ سورة الرعد في استعراض آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتقديره، ودعوة الإنسان إلى التفكير والتدبر في ملكوت السموات والأرض.

* قال تعالى: ﴿المر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرٌ صِنْوَانٌ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:١-٤] (٥) .

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، (٦٨/٨)، ح (٦٤٠٧) .

(٢) لسان العرب، (٦٥/٥) .

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، (١٢٨/١)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

(٤) التفسير المنير، (١٦٥/٩) .

(٥) التبصرة، جمال الدين الجوزي، (٦٥/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-

١٩٨٦م .

عبادة التفكير هي من أرق العبادات وأجملها، فهي صفاء للنفس والروح والقلب تشعرك بجلال الله وعظمته وعزته، وهي اتصال بين العبد وربيه، اختارها الله ﷺ لرسوله محمد ﷺ .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء) (١) .

التفكير في آيات الله الكونية ومخلوقاته العظيمة من سماء وأرض، وليل ونهار، وجبال وأشجار، وغير ذلك مما لا يحصى مما خلق البارئ ﷻ يفجر في قلب العبد ينابيع الإيمان، وتعظيم الله وإجلاله، وينبئه إلى كثرة نعمه وآلائه .

إن من وراء التفكير الواعي بأحوال الناس والنفس، والدنيا وسرعة زوالها وانقضائها، يكون الاعتزاز بالله وحده، والذل لوجهه سبحانه، والترفع عن الهوان لغيره، ويقوي الرغبة فيما عند الله والدار الآخرة، ومما يربي في النفس عبادة التفكير، دعوة القرآن إلى النظر في آيات الله التي هي أعظم دليل على وحدانيته وتفرد، فقال تعالى : ﴿...فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢٠]، وربط بين التفكير والعبادة ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٦-٦٧] .

وكان التفكير لصاحبه رائد يهديه إلى طريق ربه، ويحول بينه وبين الانصراف عنه، وإذا كان التفكير بهذه المنزلة، وثمرته بتلك المكانة، فالمصيبة كبيرة حين يحرم الإنسان ذلك الجانب من العبادة، وتصبح العبادة ألفة وعادة، فيمر بها الإنسان دون وعي ودون تفكير، الحواس تتبدل لما ترى وما تسمع، فتمر بكل شيء كأنه لا وجود له، وتنسى - بحكم التعود - أن كل شيء حولها آية للقدرة المبدعة الخالقة التي تبديع كما تريد، النظام المذهل في روعته ودقته .

فالذي تجمد تفكيره وإدراكه، وتبدل شعوره وإحساسه يكون بمنزلة فقد العقل، أو البصر، أو كما وصفهم الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦] .

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/١٣٩)، ح (٢٥٢) .

فالجحود خرب هذه الأجهزة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] (١) .

ولا يكون التفكير في الله فمن أين للمخلوق أن يتفكر في خالقه؟ ومن أين للعاجز أن يتفكر في القادر؟ ومن أين للناقص أن يتفكر في الكامل؟ وإذا كان الإنسان لم يعرف نفسه، فكيف يعرف غيره؟ ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] .

ولذلك ينبغي البعد عن هذه الساحة، وعلى الإنسان أن يوفر طاقته وجهده الذهني لما ينفعه، أما ما هو أكبر منه، وأبعد عن اختصاصه فلا ينبغي أن يشغل نفسه به؛ لأن ذلك سيدخله في متاهة لا يستطيع أن يصل فيها إلى قرار (٢) .

إنما يكون التفكير في :

١- آيات الله الكونية من سماء وأرض، وجبال وبحار، فيلاحظ تعاقب الليل والنهار، وجريان الشمس والقمر وفق نظام بديع لا يتخلف، ولا يضطرب على مر الزمان، فيعلم أن كل هذا جدير بأن يكون فيه آيات، ودلائل على وجود الصانع الحكيم؛ لأن هذا التدبير لا يمكن أن يكون من غير مدبر، ولا يمكن أن يكون هذا الإبداع من غير مبدع، فهذا مستحيل . قيل لأعرابي من البادية: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبحرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ (٣) .

٢- الآيات القرآنية، بأن يلاحظ بلاغة القرآن وفصاحته، وحسن تنظيم الكلام، ومناسبته لأغراض الكلام، ومقام السياق وإعجازه وحسن عرضه لقضايا التوحيد والتشريع والسلوك والآداب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] .

٣- تكوين الإنسان، بأن يشاهد تنوع الأعضاء، وحسن تنسيقها، وبديع صنعها ودقتها، وانسجامها في العمل، فيتأمل في حاسة النطق والسمع والبصر واللمس والذوق ... الخ، والتفكر في نشأة خلق الكائنات على اختلاف طبائعها ووظائفها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، (١/٤٥-٤٦)، دار الشروق، الطبعة الخامسة ١٩٨١م.

(٢) انظر: دروس في التفسير، (١٠٤) .

(٣) المحاضرات السنوية في شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرح محمد الصالح العثيمين، (٢٣)، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور: ٤٥] .

٤- التفكير في حال الدنيا، وسرعة زوالها، وعظم فتنتها، وتقلب أحداثها، وتداول أهلها اللاهثين وراء سرابها، العابدين لها، المفتونين بزينتها، ثم تنكرها لهم، وجحودها إياهم، ومآلهم فيها إلى الخسارة والهوان والهم والحسرة في الحياة والممات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٢٤] .

٥- التفكير في أحوال الأمم السابقة والشعوب البائدة، والحضارات المندثرة، كيف وجدوا وتكاثروا، ومكَّن لهم وعمرُوا الأرض، واغرتوا بعددهم وعدتهم، ثم جاءتهم الرسل يدعونهم للحق فاستكبروا، فنزل الله عليهم العذاب، فأبادهم عن بكرة أبيهم، وبقيت آثارهم شاهدة على كفرهم وزوالهم، قال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الرُّوم: ٩] .

هذا هو التفكير المطلوب، والذي اهتم به الإسلام اهتماماً بالغاً، وجعله جزءاً من العقيدة، حتى لا يبتيه الإنسان في الظلمات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠-١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

والتفكير ليس مقصوداً لذاته، ليس مقصوداً به أن يصبح فلسفة يناقشها الفلاسفة، ثم لا ينتهون إلى شيء، إنما غايته إصلاح القلب البشري، وإقامة الحياة في الأرض على أسس الحق، والعدل الأزليين الكامنين في بنية الكون، وبنية الحياة .

تفكر لا يصل إلى مجرد الإيمان بوجود الإله، بل إلى كمال هذا الإله، نبدأ بالتفكير، وننتهي بالعمل ... العمل بمقتضى الدستور الحق الذي نزل به القرآن، والجهد في سبيل إقرار هذا الدستور، وتسيير دفة الحياة على نهجه وشريعته، ثم تصل إلى الجزء في الآخرة، فتصل

الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، وتصل البشر بالله (١) .

ثانياً: الترغيب والترهيب:

الترغيب: وعد يصحبه تحبب وإغراء بمصلحة، أو لذة، أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده (٢) .

لما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، وتطمئن به نفسه، وتقر به عينه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله .

الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي (٣) .

وإن للترهيب أهمية كبيرة، لأن هناك بعضاً من الناس لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف، وكسر حدة النفس وإعراضها عن الحق، وإلزامها كلمة التقوى، والمتابعة فكان الترغيب والتخويف مناسباً لذلك .

وقد جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترغيب حتى لا يسيطر على الإنسان شعور من الرهبة والخوف مما يجعله في يأس من عفو الله، ورحمته فيتمادى في عصيانه .

وحتى لا يفيض قلبه أملاً بمعاني الرحمة، وطمعاً بالمغفرة وحدها فيترك العمل، ولا يرتدع عن أي مكر (٤) .

لذلك نرى أن سورة الرعد قد جمعت بين آيات الرحمة، وآيات العذاب، بين وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين، بين نعيم المتقين، وعذاب المشركين، بين ثواب وأجر الصالحين، وعقوبة وهلاك الظالمين، ليكون الترغيب دافعاً إلى البناء والعمل الإيجابي، ويكون الترغيب والتخويف سبباً في البعد عن الهدم، وسلبيات الأمور والأوضاع (٥) .

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، (٨٠-٨٣) .

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (١/٢٣١)، عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

(٣) المرجع السابق (١/٢٣١) .

(٤) انظر: نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن، محمد مصطفى نابلسي، (٢٠٣)، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

(٥) انظر : التفسير الوسيط، للزحيلي (١/٥٠٣) .

* قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَعَجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [الرعد: ٥].

* قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٥].

* قال تعالى: **﴿هُمُ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾** [الرعد: ٣٤].

* قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَنْ أَخَذْتُمْ مِنْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾** [الرعد: ٣٢].

* قال تعالى: **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الرعد: ٦].

* قال تعالى: **﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** [الرعد: ١٨].

* قال تعالى: **﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٣-٢٤].

* قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾** [الرعد: ٢٩].

* قال تعالى: **﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾** [الرعد: ٣٥].

* قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [الرعد: ٤١].

الترغيب والترهيب أسلوب فاعل ذو كفاءة، وبحسبنا للتدليل على ذلك أن القرآن الكريم أشار إلى مبدأ الثواب والعقاب في آيات كثيرة، بل جمع بينهما في آية واحدة عدة مرات، قال تعالى: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الرعد: ٦].

إن النفس البشرية ترجو وتخاف بحكم ما فطرها الله عليه، وبالتالي فإن الإنسان يتربى بالمتوبة، كما يتربى بالعقوبة، ولا عيب في ذلك، وإنما هو تجاوب مع متطلبات الفطرة.

لا خلاف على أهمية الثواب في حياة الإنسان عامة، فنحن نبتهج بالنجاح، ونهش للثناء، ونفرح بالجائزة، ونطرب للشهرة، ونسعد بزيادة الدخل، ولا خلاف كذلك على أهميته في مجال التعلم على الخصوص، وما يحققه من توجيه للفرد، وتعديل السلوك، وتحسين الأداء وتقويمه، والإحساس بلذة العمل، والاستمرار فيه، والثقة بالنفس، وتحقيق المركز بين الأقران .

ومن طبع النفس النسيان والغفلة، لذلك فإن الترهيب يجب أن يتبع في علاج السلوك المنحرف، فإن النفس البشرية إذا تركت على هواها فإنها تقبل على كل عمل خفيف، وتتكاسل عن بذل ما تراه على النفس ثقيلًا، فإذا لم تخف هذه النفس لهلكت، وهلك معها كل من شاكلها في ارتكاب الآثام، والذنوب، والنقائص (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

والترغيب والترهيب قرناء لا يفترقان ليفهم المؤمن العاقل ضرورة الموازنة والتفكير الجدي والعمل الحاسم، بتوجيه نفسه وغيره نحو الخير، واجتناب الشر والمنكر، وسرعان ما تظهر نتيجة الموازنة والمقارنة سواء في الدنيا أو في الآخرة، ففي الدنيا يظفر فاعل الخير بالسعادة وتحقيق السمعة الطيبة، وفي الآخرة يحظى المؤمن الصالح بالخلود في جنات النعيم، ويلقى الكافر والفاسق والعاصي في الآخرة صفقة موجعة مؤلمة، ويتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدًا (٢) .

"إن الأبوين أمامهما فرص جيدة، وعديدة للتعامل مع الأبناء بمبدأ الثواب والعقاب، ولا حرج في ذلك، ولا تضيق على الصغار .

إن تشجيع الأبناء على التحلي بفضائل الأخلاق ببعض ألوان الثواب الملائمة التي لا تحول الأبناء إلى ماديين، وتخويفهم من التخلي عن هذه الصفات الفاضلة بأنواع من العقاب الملائمة التي لا تحول الأبناء إلى جبناء، أو أذلاء جائز للأبناء، ولا عليهم فيه من حرج ديني، أو تربوي" (٣) .

ومن أنفع وسائل الترغيب تنبيه الفرد والأمة إلى ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منارة العلم والدين، ونشروا لواء العدل والحرية، وقهروا الظلم والبيغي، وأناروا العالمين، وشرقوا، وغربوا في أرجاء المعمورة فاتحين مكبرين هادين .

(١) انظر: نحو تربية إسلامية، حسن الشرقاوي، (٢٠٩)، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣ م .

(٢) انظر: التفسير الوسيط، (٣٢/١) .

(٣) نحو تربية إسلامية، (٢٠٨) .

ثالثاً: الاختيار بين المتقابلات والأضداد:

من روائع البيان، وفصيح اللسان، أن تصاغ آيات القرآن في عرض شيق يستهوي العقل والجان، ويملك على كل ذي حس من الإنس والجان، كل ذرة من ذرات الجسد والعقل والوجدان، وذلك بعرض المتقابلات والأضداد في صورة توقف الإنسان أمام الاختيار بينها، والعرب تقول: "بالضد تتميز الأشياء".

وهذا جدول يبين أكثر هذه الأضداد والمتقابلات في سورة الرعد، ويبقى على كل قارئ أن يختار أين يذهب، وأي الطريقين يختار، واليقين الذي لا يتطرق إليه أدنى شك أن تمام العبودية في أن يختار الإنسان ما اختاره الله له، وأن يؤثر مراد الله على مراده، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والآن نستعرض في هذه السورة الرائعة من البيان والبلاغة في المتقابلات والأضداد الكثيرة، لنخرج من نشوة البيان إلى مجاهدة النفس والصراع مع الشيطان في النزول إلى اختيار الرحمن (١).

م	المتقابلات والأضداد	الآية من سورة الرعد
١-	الليل، النهار	قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣]
٢-	صنوان، غير صنوان	قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونًا وَعَيْرٌ صِنُونًا يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضُّوا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤]
٣-	السيئة، الحسنة	قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ [الرعد: ٦]

(١) انظر: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، د. صلاح الدين سلطان، (١١٧)، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩هـ-٢٠٠٩م.

٤-	مغفرة، عقاب	قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦]
٥-	تغيض، تزداد	قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨]
٦-	الغيب، الشهادة	قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩]
٧-	أسر، جهر	قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد:١٠]
٨-	مستخف، سارب	قال تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]
٩-	الليل، النهار	قال تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]
١٠-	من بين يديه، من خلفه	قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]
١١-	لا يغير، يغيروا	قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد:١١]
١٢-	الخوف، الطمع	قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد:١٢]
١٣-	يبلغ، وما هو ببالغ	قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد:١٤]
١٤-	الغدو، الأصال	قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد:١٥]
١٥-	النفع، الضر	قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:١٦]

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦]	الأعمى، البصير	-١٦
قال تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]	الظلمات، النور	-١٧
قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]	الحق، الباطل	-١٨
قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]	استجابوا، لم يستجيبوا	-١٩
قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]	الحسنى، جهنم	-٢٠
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]	يوفون، ينقضون	-٢١
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]	السر، العلانية	-٢٢
قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]	الحسنة، السيئة	-٢٣
قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤-٢٥]	عقبي الدار، سوء الدار	-٢٤

٢٥-	القطع، الوصل	قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]
٢٦-	يبسط، يقدر	قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]
٢٧-	الدنيا، الآخرة	قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]
٢٨-	الضلال، الهداية	قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]
٢٩-	الجنة، النار	قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]
٣٠-	المتقون، الكافرين	قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]
٣١-	أعبد الله، أشرك به	قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾ [الرعد: ٣٦]
٣٢-	المحي، الإثبات	قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن هذه المقابلات والأضداد ليست فقط للتحسين البلاغي، وإن كان ذلك رائعاً في العرض، لكنه في الحقيقة مع الاستمتاع بالجمال اللغوي الانتفاع العملي في الاختيار بين المنهج القويم والأهواء المعوجة (١).

وعرض الأضداد لإثارة العقل واتخاذ القرار وفقاً للآية: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

رابعاً: ضرب الأمثال:

المَثَلُ لغة: الشيء الذي يضرب لشيء مماثلاً فيجعل مثله، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] (٢).

المثل في الأدب: قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله (٣).

وتفسير الأمثال في القرآن على خمسة وجوه:

الوجه الأول: الأمثال يعني الأشباه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم: ٢٤] ، يعني وصف الله مثلاً يعني شبيهاً، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: ٢٩] ، يعني شبيههم.

الوجه الثاني: الأمثال يعني السنن.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، يعني مؤمني الأمم الخالية من سنن البلاء.

الوجه الثالث: الأمثال يعني العبر.

وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] ، يعني عبرة لمن بعدكم.

(١) انظر: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، (١٢٤) .

(٢) لسان العرب، (١١٦/١١).

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (٢٥٨)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤١٨هـ -

١٩٩٨م.

الوجه الرابع: الأمثال بمعنى العذاب.

قوله تعالى: ﴿ وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٥] ، يعني وصفنا لكم العذاب، عذاب الأمم الخالية.

الوجه الخامس: الأمثال يعني الذكر.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ [المدثر: ٣١] ، يعني ذكرا (١).

ضرب الأمثال من الأساليب المؤثرة في النفس البشرية.

وفي الكتاب والسنة من الأمثلة المضروبة ما فيه بلاغ للناس، وقد بين تعالى أن هذه الأمثال إنما هي للتذكر والتفكير والعظة والعلم.

والأمثال المذكورة في القرآن كثيرة، منها على سبيل المثال في سورة الرعد قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيٍّ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤] .

* قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧] .

* قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥] .

ومن الأمثلة في السنة النبوية:

قال رسول الله ﷺ: (مثل المذهن في حدود الله، والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها و صار بعضهم في أعلاها، وكان الذي في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك، قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم) (٢).

(١) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهدت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام الإفريقي القيرواني، (٢٥٤/١)، حققه هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، (١٨١/٣)، ح (٢٦٨٦) .

وتنقسم الأمثال في القرآن إلى ثلاثة أنواع:

١- **الأمثال المصراحة:** وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٍ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٨-١٩].

٢- **الأمثال الكامنة:** هي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز.

قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٣- **الأمثال المرسلة:** وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] ، وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] ^(١).

لا شك أن إيراد المثل أثناء الكلام بين فترة وأخرى يريح المستمع ويجعله يتابع ولا يمل، فالأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلاً لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل على إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ، كما تكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ويضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويضرب المثل للتفكير حيث يكون الممثل به مما

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، حقق أصوله طه عبد الرؤوف سعيد، (٤/٤١)، ومباحث في علوم القرآن، (٢٦٢).

تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس، كما ضرب الله مثلاً لحال من آتاه الله كتابه، فترك العمل به، وانحدر في الدنيا منغمساً، فقال تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] ^(١)، والعالمون هم المقصودون بضرب الأمثال القرآنية لأنهم هم الذين يعقلونها، ويفهمون الغاية منها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظِرِّبَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

أما الذين يعطلون أدوات المعرفة فيهم، ويضعون الأغشية على أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، فليسوا جديريين بأن يعقلوها أو يفهموا الغاية منها، أو يعملوا بهديها ^(٢).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن الداعية بحاجة إلى تحريك الشعور ولفت انتباه المستمع، وإزالة الكسل والخمول الذي كثيراً ما يعتري السامع، وخاصة إذا طال الحديث، فإن الداعية يجدر به أن يربط حديثه ببعض الأمثال المثيرة للشعور المحركة للوجدان، التي تدفع السامع إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات وتسير الأمة الإسلامية في طريق الحضارة والتقدم.

وعلى المدرسين استحضار الأمثال القرآنية في النشاطات المدرسية، ومناقشتها والتعقيب عليها بأسلوب شيق، يقوي إرادة الخير عند الطلاب ويحقق عزمهم على توجيه سلوكهم

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، (٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، عبد الرحمن بن حسن الميداني، (٣٠٠/١)، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

بما تقتضيه أمثال القرآن والسنة النبوية، فإيراد المثل هو بمثابة التجربة في المعمل، نجد الطالب لو نسي كل شيء فإنه لا ينسى التجربة التي أجريت في المعمل أمامه.

خامساً: الهداية بمشيئة الله:

الهداية: معرفة الحق والعمل به (١).

إن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتل به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (٢).

* ومراتب الهدى أربعة:

المرتبة الأولى: الهداية العامة.

وهي هداية إلزام الفطرة لما خلقت له، فكل شيء في الكون مسخر لما خلق له، وقد أعطى الله كل مخلوق هداية يؤدي بها رسالته في الحياة، ويحقق ما خلق له، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠].

وهذه الهداية مشتركة بين الحيوان الناطق والأعجم، وبين المؤمن والكافر أعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره. ومراتب هدايته ﷺ لا يحصيها إلى هو فتبارك الله رب العالمين (٣).

المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة.

وهي الهداية التي جعلها الله للناس بدعائه إياهم على أسنة الأنبياء، وإنزال القرآن والمقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم، وأمرهم بذلك، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فهذا أيضاً يشترك فيه جميع المكلفين، سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ

(١) جهود الشيخ محمد الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز بن صالح الطويان، (٢/٥٤٨)، مكتبة

العبيكان، الرياض السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢) انظر: شفاء العليل، (١٤١).

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، (٢/٣٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴿ فَصَلَّتْ: ١٧ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] ، وهي أشرف الأعمال لأنها تقطع حجة العباد على الله (١).

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام.

التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١] ، فاز بها الذين سعدوا، فأوصلتهم إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧] ، وقد نالوا هداية التوفيق عندما قبلوا هداية الإرشاد واستجابوا لله وأثر هذه الهداية في عقيدتهم، أن الله أورثهم فرقاناً في قلوبهم يفرقون به الحق والباطل.

وقد نفى الله ﷻ عن النبي ﷺ القدرة على هداية التوفيق، قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦] (٢).

المرتبة الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة والنار.

قال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩] (٣).

سورة الرعد اشتملت على آيات حملت في طياتها مراتب الهداية، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] ، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧] ، قال تعالى: ﴿ ... أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١] ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣] .

(١) انظر: الفتاوي الكبرى، لابن تيمية، (١/١٠١)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

(٢) انظر: منهج القرآن في القضاء والقدر، محمود محمد غريب، (١/٣٩)، دار القلم للتراث القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) انظر: شفاء العليل، (١٧٩) .

من النعيم الذي لا يدركه إلا الفطناء: نظر المسلم إلى الكافر، وتذكرُ نعمة الله في الهداية إلى دين الإسلام، وأن الله ﷻ لم يقدر لك أن تكون كهذا الكافر في كفره بربه وتمرده عليه، والحاده في آياته، وتكذيبه لرسله وكتبه، وعصيانه وأوامره، ثم تذكرُ أنت أنك مسلم موحد تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وتؤدي الفرائض ولو على تقصير، فإن هذا في حد ذاته نعمة لا تقدر بثمن، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]، يعرفنا القرآن بأنفسنا ومدى ضعفها الذاتي والمطلق لله ﷻ في كل طرفة عين وبينها على ضرورة الحذر من الشيطان، وأن كل ما يقع في ملك الله تعالى هو بعلمه وبارادته، وقدرته، وأن الهداية إلى الحق والخير قدر من الله تعالى، يحققه لمن يشاء من عباده وفق عدل الله ورحمته، وأن التعرف على الخالق من أهم جوانب الهداية.

الله ﷻ يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، بعد أن يبين لهم طريق الهدى، ويمنحهم القدرة الكافية التي تمكنهم من السير عليها.

الله ﷻ يهدي من يحرص على طلب الهداية ويقبل عليها فإن الله يبسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير فيضله الله عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، فصار السبب من العبد والقدر من جهة الله سبحانه، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠]، فصار السبب من العبد، والقدر من الله عقوبة له^(١)، وهذا من عدل الله في عباده وحسن تدبيره لهم، فالواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات ومسببات^(٢).

إن العبد إذا أقبل على الله وطلب منه الهداية ورجاه، فإن الله تبارك وتعالى يهديه ولا يخيبه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم ...) (٣).

(١) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، (١/٣٤٣).

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي حسن الشيخ، (١/٥٣٥)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/١٩٩٤)، ح (٢٥٧٧).

كل خلق الله ﷻ ، وكل عباده ضالون، إلا من هدى الله، ومنّ عليه وتفضل بالهداية، ومن هدايته لهم أنه خلقهم على الفطرة القويمية، وأنه أرسل إليهم الرسل، وأنه أنزل عليهم الكتب، وأنه أعطاهم العقول ليفكروا بها، إن من أشد أنواع افتقار العبد إلى ربه افتقار الهداية، ولذلك قدمت الهداية على الطعام، وعلى الكساء، الله يبين للإنسان طريق الخير من طريق الشر، فمن وفقه الله تبارك للهدى فلا مضل له، ولكن من خذله الله، وحُرم توفيق الله تبارك وتعالى للهدى وللافتداء إلى الطريق القويم، وركنه الله إلى نفسه وعقله ورأيه وتدبيره، فقد خاب وهلك.

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

ما علينا إلا أن نطلب الهداية آناء الليل، وأطراف النهار، فعباد الله المؤمنون المصلون، العابدون، يطلبون الهداية من الله في كل يوم - على الأقل - بعدد ركعات صلاتهم، فريضة كانت أم نافلة، ويعلمون أنهم إن لم يهدهم الله تبارك وتعالى فقد ضلوا، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥-٦]، إن العبد بحاجة إلى أن يدعو الله ليل نهار أن يثبتته ليستمر على هذه الهداية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

حتى ولو كان أتقى الناس، لأن الإيمان قابل للزيادة والنقصان، والذي يُعرض عن الهداية، ولا يحرص عليها، ولا يريد لها، يطع الله على قلبه، ويجعل الشيطان يستحوذ عليه، قال تعالى: ﴿... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصّف: ٥].

لما تهاون بعض المسلمين في طلب الهداية، لم يقف أثره عند هذه الأمة وما أصابها من ضعف، وتخلف، وهوان، وتمزيق على يد أعدائها، بل تعداه إلى البشرية بأجمعها التي فقدت الهداية الربانية، التي كانت ممثلة في هذه الأمة، فراحت البشرية من جراء ذلك تتخبط في الظلمات، وتقودها الشياطين إلى مهاو ومزالق لا مثيل لها في التاريخ البشري كله في شناعتها وبشاعة آثارها.

فعلى أبناء الأمة، وخاصة المصلحون منهم، أن يقوموا بتبليغ هذه الرسالة البشرية جمعاء، وإن يحسنوا البلاغ حتى ينقذوا كل من بداخله خير وشوق إلى الهداية، وفي نفس الوقت يقيمون الحجة على المجرمين المعاندين، فإذا ما وقفوا أما الله ﷻ قاموا بالشهادة على الناس.

فيا من يريد الهداية التمسها تجدها، فإن الهداية لا تتعلق بنسب، ولا بمنصب، ولا بمال، ولا بجاه، ولكن الله ينظر إلى قلوب العباد، فإذا رأى قلباً يستحق الهداية أعطاه، وأولاه واجتباها، ثم ترجم هذه الرغبة في صورة دعاء وطلب من الله ﷻ بأن يبلغك مرادك.

المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الرعد:

مصير الدعوات:

يضرب الله مثلاً للحق والباطل، للدعوة الباقية والدعوة الزاهية مع الريح، للحق الهادي والباطل المنتفخ، صراع بين حق يغالب ليظهر، ويبظفر، وليبسط في الأرض عدله ونوره وخيره الكثير، وباطل يدافع عن وجوده غير المشروع، ومبطلين يصارعون الحق المبين ليحافظوا على مكاسب ظالمة .

* قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤] .

* قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٦-١٧] .

الله ﷻ شديد المحال له دعوة الحق، أما غيره فدعوته باطلة، والذين يدعون من دون الله يدعون من لا يملك شيئاً، كمن يبسط كفيه ليصل إلى الماء، ليبليغ فاه وما هو ببالغته، لأن الماء بعيد، لا يستطيع أن يصل إلى فيه.

كما يضرب الله مثلاً للحق والباطل، بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء، فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان، هذا الزبد نافش ران منتفخ، ولكنه بعد غثاء، والماء من تحته سارب ساكن هادئ ... ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة، وكذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة.

كذلك يقرر الله ﷻ مصائر الدعوات والاعتقادات، ومصائر الأعمال والأقوال، والحق والباطل، والباقي والزائل (١) .

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٠٥٤) .

وبعد: فتفاهة الباطل والزبد تلتقيان في ثلاث:

الأولى: أن كلاً منهما ظاهرة عارضة ضائعة الأصل والنسبة.

الثانية: أن كلاً منهما لا نفع له ولا ثمرة ينتهي إليها.

الثالثة: أن كلاً منهما سريع التحول والزوال، لا استقرار له ولا دوام (١).

إن الصراع بين الحق والباطل قد وقعت منذ فجر التاريخ، ومنذ أن وجد الإنسان في هذه الحياة.

وقد قص القرآن علينا كثيراً من القصص التي تبين أن العاقبة للحق، وأن الباطل مهما تطاول وبغى، فإنه إلى زوال لا بد صائر، نستحضر في هذا المقام مثال:

الصراع بين موسى ﷺ الداعي إلى الحق، وإلى طريق الله المستقيم، وبين فرعون الطاغي والمتجبر، والمدعي لنفسه الألوهية والربوبية، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

لقد تحدث القرآن في سور عديدة عن صراع موسى وفرعون، بل صراع الحق والباطل، ولئن كان فرعون قد كسب بعض الجولات في هذا الصراع، إلا أن الجولة النهائية كانت للحق على الباطل، وللايمان على الكفر، وقد عبر القرآن عن هذه النتيجة في أكثر من آية، وبأساليب متنوعة مقررًا حقيقة انتصار موسى على فرعون.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

إن أمامنا قاعدة ربانية راسخة، أنه كلما ظهر الحق خنس الباطل واختفى وهرب، قال الله ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

إن تاريخاً طويلاً من الوثنية في جزيرة العرب، ومن الشرك ومن عبادة الأوثان، حيث كان العرب يعتبرون الصنم هو إلههم ومعبودهم، ومع ذلك في هذا التاريخ الطويل العريض كله مسح في غداة واحدة حينما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً، فنهاوت الأصنام، وكان ذلك إيذاناً بأن

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، (٨٣)، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م.

بنيان الباطل زائل مهما ضربت حوله الطبول، ورفعت حوله الأعلام، وجندت له الجنود، فإن بناء الباطل مبني على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، فمتى ظهر الحق اختفى الباطل، ومتى علت كلمة التوحيد اندحر الشرك، لأن كلمة الله لا يقف في وجهها أحد، وإن دين الله منصور بقوة الحق الذي يحمله، ومنصور بأن الله معه.

اعتزازنا بالإسلام يشتد يوماً بعد يوم ... وإيماننا بجدارة هذا الدين لقيادة البشرية في ازدياد مستمر ... وفشل الاتجاهات الزمنية والقيادات السياسية في توفير السعادة والاستقرار للإنسانية المعذبة يؤكد على الزمن، وهو أن المستقبل لهذا الدين.

لقد شهدت المنطقة العربية خلال القرن الأخير محاولات متلاحقة من التجارب الفاشلة على كل صعيد.

فعلى الصعيد السياسي: فشلت الاتجاهات (القومية) في إقامة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد بين قطرين اثنين من الأقطار العربية، وعلى الصعيد العسكري تسببت هذه الاتجاهات بطعن القضية الفلسطينية في الصميم، وعلى الصعيد الاقتصادي أخفت النظريات المستوردة- رأسمالية واشتراكية - في إيجاد مجتمع الكفاية والعدل، وتأمين الاستقرار والرفاه لهذا الإنسان في أية بقعة من بقاع العالم.

فالدول التي تمارس (التطبيق الماركسي) مثقلة بالأزمات والتناقضات في كل مجال، فمشكلات التأميم، ومشكلات التموين، ومشكلات حرب الطبقات وغيرها أصبحت من الظواهر البارزة في تلك المجتمعات.

كذلك الدول التي تمارس تطبيق (النظام الحر) هي الأخرى غارقة في طوفان مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك من المشكلات التي لا حصر لها ولا عد.

لقد أصبح مسلماً به أن ما تعاني منه البشرية من معضلات ومشكلات ناشئ في الأصل عن انحراف التصور (العقدي) للكون والإنسان والحياة، وبالتالي انعدام الضوابط الأخلاقية لدى الإنسان.

ومن يوم نكبت هذه الأمة بغزو الحضارات المادية لأفكارها ومعتقداتها، وباجتياح الفلسفات والمبادئ الوضعية لمفاهيمها وتصوراتها، دهمتها الخطوب والفتن، وعمتها المصائب والمحن، فلم تعد تعرف طعم السعادة والاستقرار (1).

(1) انظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، (٦٠٣)، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة،

ولئن رأى الحاضر من البشرية إقصاء الإسلام عن الحياة فما ذاك إلا كما تكسف الشمس، والذي حصل من الاضطراب والظلم والفساد بإقصائه لدليل لأولي الأبصار يميزون به صواب ما نقول من كون الإسلام جزئية لا بد منها في نظام الكون البديع يختل بدونه (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

الصراع بين الحق والباطل، والكفر والإيمان سيظل قائماً ما بقيت السموات والأرض لا تهدأ معاركه، ولا تخبو جذوته، لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته، ومهما كانت دولته وكثرته، فإن العقاب ستكون بإذن الله دائماً لأولياء الله المتقين ودعاته المخلصين الذين يستمدون قوتهم من قوة الله، ويأخذون أدلتهم من كتاب الله وسنة رسوله.

أما دعاة الباطل فليس لهم إلا الحجج الواهية التي تركز على ضروب من الجهل والأوهام السخيفة.

ولقد شاهدنا من واقعنا المعاصر، انتصار المقاومة الفلسطينية في حرب غزة على أعداء الله اليهود، وانتصار ثورات الربيع العربي الإسلامي والذي تمخض عنها تقدم الإسلاميين إلى سدة الحكم سواء في تونس ومصر، بعد أن دفعوا القرآن الكريم منهاجاً، وجعلوا شعارهم: الإسلام هو الحل.

اجتهد أن تكون من أنصار الحق وأعوانه، ولا تتأثر بالباطل ولو كثر أشياعه.

(١) المنطلق، محمد أحمد الراشد، (٥٢)، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

الفصل الثاني

الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة إبراهيم .

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم .

المبحث الأول

مدخل إلى سورة إبراهيم

ويشتمل على ستة مطالب:

- المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها .
- المطلب الثاني: نزول سورة إبراهيم .
- المطلب الثالث: محور سورة إبراهيم .
- المطلب الرابع: المناسبة بين سورة إبراهيم ومحورها .
- المطلب الخامس: المناسبة بين افتتاحية سورة إبراهيم وخاتمتها .
- المطلب السادس: المناسبة بين خاتمة سورة إبراهيم وفاتحة سورة الحجر .

المبحث الأول

مدخل إلى سورة إبراهيم

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها:

ذكر أكثر من مفسر سبب تسمية سورة إبراهيم بهذا الاسم، ومنهم الدكتور وهبة الزحيلي حيث يقول: "سميت سورة إبراهيم لاشتمالها على جزء من قصة إبراهيم أبي الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - يتعلق بحياته في مكة، وصلته بالعرب وإسماعيل، وأن إبراهيم دعا أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وأن يرزق زوجه وابنه إسماعيل اللذين أسكنهما في مكة من الثمرات، وأن يجعله هو وذريته مقيمي الصلاة" (١) .

ولكن بعد التأمل في سورة إبراهيم، والنظر في كلام د. وهبة الزحيلي تبين لي الآتي:

إن كلام د. وهبة الزحيلي غير مقنع، حيث قال: إنها اشتملت على جزء من قصة إبراهيم بما يتعلق بحياته في مكة، وصلته بالعرب وإسماعيل، وأن إسماعيل وإبراهيم بنيا البيت الحرام. فهذا الكلام لم تذكره السورة، وإنما الذي ذكرته هو إسكان سيدنا إبراهيم لزوجته هاجر وابنها إسماعيل، في وادٍ قفرٍ غير ذي زرع، ولم تتعرض السورة لبناء البيت الحرام، وإنما الذي تعرض لبناء البيت الحرام هما سورتا البقرة والحج.

بعد البحث في كتب التفسير، وجدت أنها سميت بهذا الاسم، ولا يعرف لها غيره، ولم يرد لها في كتب التفسير اسم آخر، ولم أقف على إطلاق هذا الاسم عليها في كلام النبي ﷺ، ولا في كلام أصحابه في خبر منقول.

أما عدد آياتها أربع وخمسون عند المدنيين، واثنان وخمسون عند أهل الكوفة (٢) .

ويلحظ أن الخلاف هنا في عدد الآيات ليس المقصود به - والعياذ بالله - اختلاف عدد آيات القرآن، وإنما هو اختلاف الصحابة - رضوان الله عليهم - في الوقف على رؤوس الآيات، وتبقى الآيات واحدة في كل سورة، فلا زيادة ولا نقصان .

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٩٧/١٣) .

(٢) التحرير والتنوير، (١٧٧/١٣) .

المطلب الثاني: نزول سورة إبراهيم:

نزلت سورة إبراهيم بعد سورة الشورى، وقبل سورة الأنبياء، وقد عدت السبعين في ترتيب السور في النزول (١).

تعد سورة إبراهيم من السور المكية إلا آيتين من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُنْسِ الْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩] ، إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠] (٢)، ونزلت بعد سورة نوح (٣).

المطلب الثالث: محاور سورة إبراهيم:

- ١- إثبات اصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل، وبالبعث والجزاء، وإقرار التوحيد .
- ٢- الوعد والوعيد، وعد المؤمنون بالجنان، وتهديد الكفار بالعذاب الشديد .
- ٣- تسلية الرسول ﷺ ببيان ما حدث للرسل السابقين مع أقوامهم، قوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم .
- ٤- دعوات إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت الحرام لأهل مكة بالأمان، والرزق وتعلق القلوب بالبيت الحرام، وتوفيقه وذريته لإقامة الصلاة، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين .
- ٥- ضرب الأمثال لكلمة الحق، وكلمة الباطل، بالشجرة الطيبة، والشجرة الخبيثة .
- ٦- التنكير بأحوال القيامة، وتهديد الظالمين، وبيان ألوان عذابهم .
- ٧- بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة وهو ما ختمت به السورة (٤) .

المطلب الرابع: المناسبة بين اسم سورة إبراهيم ومحورها:

سميت بإضافتها على سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٧٧) .

(٢) تفسير البغوي (٣/٢٩) .

(٣) الكشاف، للزمخشري (٢/٥٣٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ .

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٣/١٩٩) .

"وذلك تخليداً لمآثر إبراهيم عليه السلام الأواه الشاكر المنيب، أبو الأنبياء، الذي أخلص نفسه لله تعالى، فاختره الله تعالى لخلقه وجعل في ذريته النبوة والكتاب، وقد خصه الله بحماية جانب التوحيد، واستجاب لتلك الدعوات الطيبات الطاهرات، حين دعا بها لنفسه ولذريته بعد أن انتهى من بناء البيت العتيق" (١) .

المطلب الخامس: المناسبة بين افتتاحية سورة إبراهيم وخاتمتها:

بالنظر إلى سورة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - نجد أنها افتتحت بالحروف المقطعة، ثم جاء بعدها بيان وظيفة القرآن الكريم، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ثم عرضت لأمر عديدة، ومختلفة من ذكر لحال الرسل مع أقوامهم، بين مصدق ومكذب لهؤلاء الرسل، ثم بيان جزاء كل فريق، وذكر مشاهد لأحوال يوم القيامة، وتبرؤ السادة والكبراء من الأتباع، وتتصل الشيطان منهم، وإرجاع اللوم عليهم ... إلى غير ذلك من عبر وعظات وأحكام عديدة .

ثم اختتمت السورة بقوله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

أول هذه السورة مقرون بآخرها، ومطابق لها في المعنى، فأولها ﴿ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ يدل على أن المقصود من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى، ومنعهم من الكفر والمعصية .

وآخر السورة ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ يدل على أنه - تعالى - ذكر هذه المواعظ والنصائح لينتفع الخلق بها، فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتركوا الكفر والمعصية (٢) .

المطلب السادس: المناسبة بين خاتمة سورة إبراهيم وفتحة سورة الحجر:

١- نجد أن خاتمة سورة إبراهيم وصفاً لأحوال الكفار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٠] ، أما في سورة الحجر، فيبين أن الكفار عندما يطول مكثهم في النار، ويرون عصاة المؤمنين والموحدين قد أخرجوا منها، يتمنون أن لو كانوا مسلمين، قال تعالى: ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] .

(١) إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، (٢٧)، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م .

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٢٨١/١٣) .

٢- كذلك سورة إبراهيم اختتمت بوصف الكتاب: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ، وافتتحت سورة الحجر كذلك بوصفه، قال تعالى: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: ١] (١) .

(١) انظر: التفسير المنير، (٤/٥، ٦) .

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة إبراهيم.
- المطلب الثاني: منهج الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة إبراهيم.
- المطلب الثالث: منهج الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة إبراهيم.
- المطلب الرابع: منهج الإصلاح والتغيير السياسي في سورة إبراهيم.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم

المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة إبراهيم:

ويشتمل على أربع نقاط:

أولاً: مقاصد القرآن وأثره في الهداية:

إن أثر القرآن الكريم على الإنسان أثر عظيم وظاهر لمن تأمل التاريخ والحاضر، وعظمة القرآن من عظمة قائله ﷺ، وهو الذي يقول: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

فهو الشفاء والرحمة والهدى والنور والسعادة البشرية كلها، يبعث السعادة الكاملة التي تبعث الأمل والرضا وتثمر السكينة والاطمئنان، وتحقق الأمن النفسي والروحي للإنسان فيحيا سعيداً هانئاً آمناً مطمئناً .

إن القرآن الكريم منهج حياة، وليس كتاب دين أو كتاب فقه فقط، إنه كتاب معجز جامع، جمع بين دفتيه كل صنوف الحكمة والعلم وجميع دروب المثل والأخلاق العليا، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

* قال تعالى: ﴿الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

* قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

* قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

تكفل الله ﷻ لمن حفظ هذا القرآن، وتدبر معانيه، والترم أحكامه، وعمل بما فيه، بالهداية من الضلال في الدنيا، وعدم الشقاء في الآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ليس المقصد من الإيمان بالقرآن هو مجرد الإيمان بأنه كلام الله، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، بل المقصد - بالإضافة لهذا - الإيمان بقيمته وعظيم شأنه، وأنه نزل من السماء ليهدي الناس إلى الله، ويأخذ بأيديهم إليه .

بهذا الإيمان تعامل الصحابة مع القرآن، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإنَّ أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن"، ثم قال: "لقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل" (١) .

لكن حينما اكتفينا بالتعامل مع القرآن الكريم بالألسنة والحناجر فقط، ولم نجتهد في الوصول به إلى العقول والقلوب، وكانت غاية الجهد والخدمة للقرآن، هي الإكثار من الكتابيب والمدارس والكليات، لتخريج أكبر قدر من حُفَاط حروفه في أقل وقت مكن فقط، فإننا بذلك قد حرمنا أنفسنا من أهم جانب فيه، ومن سر إعجازه الأعظم، ومقصده الأسمى .

لينتج عن ذلك هبوطنا لهذا الدرك، ليصدق فينا قول رسول الله ﷺ : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع آخرين) (٢) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

مشكلتنا إيمانية، وحلها غاية في السهولة، وهو حسن الإقبال على القرآن، وتغيير طريقتنا في التعامل معه، من خلال التعرف على النماذج العظيمة التي صنعها القرآن على مر العصور، ولعل أهم قدوة في ذلك رسولنا محمد ﷺ، ثم صحابته الكرام .

علينا أن نتعرف على علاقة الرسول ﷺ بالقرآن، وكيفية تعامله معه، ووصاياہ نحوه .

لا بديل للأمة عن هذا الحل، فلا بد أن يستمر ويستمر التذكير بقيمة القرآن الكريم، وبالهدف الأسمى لنزوله، والذي لو اتضح أمامنا بصورة جلية، وأصبح إيماناً مستقراً في قلوبنا، فإنه - بلا شك - سيولد داخلنا الدافع القوي للإصلاح والتغيير .

(١) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٩١/١)، ح (١٠١)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، الدقل: أردأ التمر .

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٥٥٩/١)، ح (٢٦٩) .

ثانياً: أدلة وحدانية الخالق:

كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكون ازداد تأمله للصنعة، وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون من سواه، فيما أنه المتفرد بالخلق والإماتة والتدبير، فيجب أن يفرد بجميع أنواع العبادة، وهذه تسمى دلالات التوحيد، وفيما يلي ذكر بعض الآيات التي وردت في سورة إبراهيم .

* قال تعالى: ﴿الله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢].

* قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا فَأَنزِلْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩-٢٠].

* قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

* قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

وهو تعالى رب السماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يدعي أنه الخالق أو الرازق، أو المدبر لذرة في السماء أو في الأرض .

الكون كله - عاليه ودانيه - صامته وناطقه، أحيائه وجماداته، كله خاضع لأمر الله، منقاد لقانون الله، شاهد بوحدانيته وعظمته، ناطق بآيات علمه وحكمته، دائم التسبيح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَمُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

"توحيد الله تعالى وأنه رب واحد لا شريك له: هو الأصل العتيق، والجوهر المطلق في العقيدة الدينية، وفي الفكر الإنساني السوي، فلم تختلف النبوات والرسالات الإلهية في الدعوة إلى توحيد الرب تعالى، ولم يتقبل العقل البشري السديد مبدأ الشرك وتعدد الآلهة، الذي أصبح مرفوضاً بأدنى نظرة عقلية رشيدة" (١) .

إن الشرك بالله - المخالف لشهادة أن لا إله إلا الله - يتمثل في كل وضع، وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شأن من شؤون الحياة خالصة لله وحده .

إن العبد الذي يتوجه لله بالاعتقاد في ألوهيته وحده، ثم يدين الله في الوضوء والطهارة والصلاة والحج وسائر الشعائر، بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع من عند غير الله، ويدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر تفرض عليه هذه الأخلاق والعادات المخالفة لشرع الله وأمره .

إن هذا العبد يزاول الشرك في أخص حقيقته، ويخالف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها، وهذا ما يغفل عنه الناس اليوم فيزاولونه في ترخص وتميع، وهم لا يحسبون الشرك الذي كان يزاوله المشركون في كل زمان ومكان (٢) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

اعلم أن الله واحداً في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجه بخوف أو رجاء إلا إليه، فلا خشية إلا منه، ولا ذل إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه .

"ولينظر الناس في كل بلد لمن المقام الأعلى في حياتهم؟ ولمن الدينونة الكاملة؟ ولمن الطاعة والاتباع والامتثال؟

فإن كان هذا كله لله فهم في دين الله، وإن كان لغير الله - معه أو من دونه - فهم في دين الطواغيت والأصنام والعياذ بالله" (٣) .

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل،

(١) التفسير الوسيط، (٢/١٥٧٤) .

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢١١٤، ٢١١٥) .

(٣) المرجع السابق، (٢١١٦) .

ولا تكيف، ولا تمثيل.

فلا يجوز نفي شيء مما سمي الله به نفسه، أو وصف به نفسه لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولأن ذلك تعطيل يستلزم تحريف النصوص أو تكذيبها، ولا يجوز تسمية الله تعالى أو وصفه بما لم يأت في الكتاب والسنة، لأن ذلك قول على الله تعالى بلا علم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ولا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالى مع التمثيل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالى مع التكيف، لأن ذلك قول على الله تعالى بلا علم، يستلزم الفوضى والتخبط في صفات الله تعالى، إذ كل واحد يتخيل كيفية معينة غير ما تخيله الآخر، ولأن ذلك محاولة لإدراك ما لا يمكن إدراكه بالعقول، فإنك مهما قدرت من كيفية فالله أعلى وأعظم^(١).

والقرآن الكريم مليء بالأدلة على توحيد الله في أسمائه وصفاته، فلا تكاد تخلو سورة من القرآن ولا صفحة من صفحاته، من ذكر صفات الله وأسمائه، وسورة إبراهيم شأنها شأن سائر السور القرآنية، زاخرة بالأدلة على توحيد الله في أسمائه وصفاته، وإليك هذه الآيات:

١- قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

٣- قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

٤- قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

(١) انظر: تقريب التدمرية، محمد بن صالح العثيمين، (١/١١٦، ١١٧)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٥- قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

٦- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٧- قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١].

ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

١- العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله: فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، فلاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه معرضاً عن معرفته، وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفة له، المصرحة بأفعاله وأسمائه وصفاته، كما في سورة الصمد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسي، وغيرها.

٢- تركية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريق الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلم بأسماء الله وصفاته، يعصم -بإذن الله- من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، استحضر معانيها، امتلأ قلبه بأجل المعارف والألطف.

٣- زيادة الإيمان: فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس والتعظيم للباري جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

وبعد ... ليس للقلب أنفع ولا أفضل من ميدان التوحيد يتجول فيه بناظره متعبداً لمولاه سبحانه بأسمائه وصفاته ﷻ، وقد اختص ذاته ﷻ بالأسماء الحسنى والصفات العلا، فهي أسماء حسنة في الأسماء والقلوب، تدل على توحيد الله تعالى ورحمته وأفضاله، بل تدل على معاني الخير جميعاً دون نقصان، فإذا استشعر الإنسان المسلم معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وازداد إيمانه وثقته بالله، فإذا عرف أنه رب رحيم، أقبل عليه بالتوبة، وإذا عرف أنه شديد العقاب لمن عصاه، خاف وابتعد عن المعصية، وإذا استشعر أنه عزيز جبار ذو انتقام، زاد ثقته بنصر الله ﷻ وضعف أهل الباطل، وأيقن مدى عدله فهو لا يظلم أحداً، حتى وإن ظلم المسلم،

فإنه سبحانه سينتقم له إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، إلى غير ذلك من المعاني العظيمة التي يرقق القلوب فهمها ويقرب المسلم من ربه.

ولكن بعض الناس قد ضل بعضهم في هذا المضمار، فراح بعضهم يتأول، والآخر يُشبهه، أو يُنكر ويُعطل، ففرقوا في بحار الاضطرابات الفكرية، وتحيروا وحيروا.

وبين هذا وذاك كان أهل السنة والجماعة الذين ارتضوا المنهج السليم، فاستعانوا بالله تعالى (فما عرف الله إلا بالله)، ثم ذهبوا إلى السنة النبوية، فوجدوا طوق النجاة في هذا المنهج.

فكان منهج أهل السنة والجماعة أفضل المناهج على الإطلاق في التعامل مع أسماء الحق ﷻ وصفاته بلا تيه في دروب الفلاسفة، أو ضلالة في نزعات المتكلمين، بل هو الاعتدال والتوسط.

فلا يمثلوا صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصف به رسوله فيعطلون أسماءه وصفاته.

فيا من تطمح إلى الجنة، عش مع أسماء الله وصفاته، تدبرها بعقلك وبقلبك، تقرب إلى الله بها، كلما تقربت أكثر ازدادت رفعة ومهابة، وكلما ابتعدت ازدادت انحطاطاً وذلة ومهانة، فلا سبيل إلى إصلاح الأمة إلا بالعودة الصادقة إلى الله.

رابعاً: أعمال الكافرين ومصيرهم:

إن الإيمان بالله والتصديق بكتبه، واتباع رسله، والدخول في دين الإسلام-الذي هو الدين عند الله-، ولن يقبل الله ديناً غيره يوم القيامة.

إن هذا لهو شرط لقبول الأعمال عند الله، وفتح الثواب لأصحابها يوم القيامة، وإدخالهم جنة الله ﷻ، هذه حقيقة قرآنية قاطعة، تعتبر أساساً من أسس التصور الإسلامي، قررها الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

"إن الأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، وتصل الباعث بالله، مفككة كالهباء والرماد، لا قوام لها ولا نظام، فليس المعول هو العمل، ولكن باعث العمل" (١).

(١) في ظلال القرآن، (٤/٢٠٩) .

فأعمال الكفار كصلة الأرحام، وقرى الضيف، والتفتيس عن المكروب، وبر الوالدين، ونحو ذلك يبطلها الكفر ويذهبها، كما تُطَيَّر تلك الرِّيح ذلك الرماد (١).

والله ﷻ ضرب أمثالاً أخر في آيات أخر لأعمال الكفار بهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولكن قد يقول بعض الناس: وهل يعقل أن الكفار الذين صنعوا انجازات قد استفادت منها البشرية، هل من المعقول أن يضر أعمالهم إلى هذا المصير؟ لقد اكتشفوا علاجاً لأمراض مستعصية، وخففوا آلام الناس، وقدموا أموالاً لمشاريع خيرية، وصنعوا الآلات المريحة والنافعة (٢).

وطالما أن القرآن يقرر عدم قبولها يوم القيامة فماذا يأخذ صاحبها عليها؟ هل تلغى في الدنيا كذلك؟ وهل يخرج منها صفر اليدين؟ إن هذا لا يتفق مع عدل الله الذي لا يضيع شيئاً.

إن الله يحاسب هؤلاء على أعمالهم في الدنيا، ويثيبهم عليها في الدنيا، ويكون هذا من باب تعجيل حسناتهم لهم في الدنيا، لأنها غير مقبولة يوم القيامة، ويكون هذا الثواب في صور تيسير سبل الحياة التي يعيشونها، كأن يوسّع لهم في الرزق، ويمتعم بصحة الأبدان، وكثرة الأموال والثمرات، فإذا بقي لأحد هؤلاء الكافرين عند ربه حسنات، سهل الله عليه الموت حتى يموت وليس له عند الله حسنة واحدة، لأنه سيذهب إلى نار جهنم يوم القيامة (٣).

ولكن إذا دخل هذا الكافر في الإسلام، فإن الله تعالى يكتب له الحسنات التي فعلها قبل إسلامه، عن حكيم بن حزام ﷺ قال: (قلت يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: أسلمت على ما سلف من خير) (٤).

(١) انظر: أضواء البيان، (٢/٢٤٥).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، (٢/٩٣٣).

(٣) انظر: تصويبات في فهم الآيات، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، (١/١٥٣)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، (٢/١١٤)، ح (١٤٣٦).

إن الخلاف الجوهرى بين المؤمن والكافر، هو أن المؤمن إنما يعمل العمل الصالح وفي نيته أن المكافئ هو الله، ويتناسى كل ما سوى الله، ويكون حامله على العبادة امتثال أمر الله ﷻ، ولا يهتم بالناس أرواه أم لم يروه، أسمعوه أم لم يسمعوه، ولا يبالي بهم أثوا عليه أم قدحوا فيه.

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن هذه دعوة من الله تعالى للإنسان الذي يتعامل مع الكفار إلى أن يعود إلى رشده، وذلك بتدبر هذه الآيات جيداً، وذلك ليتعلم عدل الله ﷻ وحكمته.

والذي تبين لي أن العمل الصالح المقبول عند الله ﷻ يجب أن يتوفر فيه ثلاثة شروط:

(أولهما) إسلام صاحبه، فالكافر لا يقبل الله منه عملاً، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(ثانيهما) موافقته للشرع الإسلامى، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(ثالثهما) الإخلاص لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴾ [البينة: ٥].

ومما يعين العبد على الإخلاص في العمل، الاعتقاد الجازم بأن الناس كلهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فلا يعمل شيئاً من أجلهم، وإنما يعمل أو يترك لله وحده لا شريك له.

إذا علمت هذا فوجب عليك أن لا تختلط عليك الزايات، ولا تخذعك المسميات، تماماً كما ينبغي أن تطهر قلبك وصفك من القاذورات، فإياك أن يكون في قلبك أو صفك شرك أو مشرك، ولا تتخذع بأعمال الكافرين فهي مهما كثرت تبقى بلا فائدة، لوقوعها في الأصل باطلة، فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، وهذا يبين أن الثواب من الله ﷻ لا يكون بالأعمال وكثرتها، وإنما بالأساس الذي تقوم عليه، والباعث إلى هذه الأعمال، كما ينبغي أن تعلم أن وجود الشرك في صفوفنا وقلوبنا أكبر حاجب للنصر.

المطلب الثاني: منهج الإصلاح والتغيير الأخلاقى في سورة إبراهيم:

ويشتمل على أربع نقاط:

أولاً: شكر النعمة:

قد أسبغ الله جل وعلا علينا نعماً كثيرة، ظاهرة وباطنة، وهي لكثرتها لا تعد ولا تحصى، ومن عظيم كرمه ورحمته أن جعل هذه النعم للبشر كافة مؤمنهم وكافرهم، وحباهم من النعم ما يبسر عليهم العيش والاستمرار على هذه البسيطة.

فمن الناس من قابل هذه النعم بالشكر والعرفان لله ﷻ ومنهم من قابلها بالجحود والنكران، وقد تناثرت في ثنايا سورة إبراهيم بعض النعم التي أنعمها الله على البشر عامة، وعلى المسلمين خاصة، إليك أهمها:

١- قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [إبراهيم: ١]، هذه النعمة الكبرى، التي غيرت أحوال البشر، فنقلتهم من الظلمات إلى النور، فهذه النعمة تستوجب الشكر والعرفان لله ﷻ.

٢- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩]، نهانا الله ﷻ، أن نكون كالذين بدلوا نعمة الإسلام بالكفر والعصيان، فكانت العقاب نار جهنم خالدين فيها.

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٥-٦]، يخاطب سيدنا موسى ﷺ قومه ويذكرهم بنعم الله عليهم.

٤- وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، يخبر الله ﷻ عن سننه العظيمة، وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وأن الإنسان في عمومها لا يشكر النعمة حق الشكر.

٥- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، يقرر الله ﷻ سنة عظيمة وقاعدة أصيلة، وهي أن النعم تدوم بالشكر والعرفان لله، بل يزيدنا الله ﷻ ويبارك فيها، وفي المقابل فإن النعم تزول بالكفر والجحود.

٦- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، يظهر في هذه الآية غنى الله ﷻ عن شكر الشاكرين، وأن شكرهم لن يزيد في نعمه سبحانه، وكذا كفرهم لن ينقص من ملكه شيئاً.

٧- وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ مَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي

وَمَا نُغَلِّبُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿ [إبراهيم: ٣٧-٣٩]، يمثل الشكر والعرفان لله ﷻ في شخص إبراهيم ﷺ في دعاء، كله حمد وشكر لله.

"ولم يثن الله ﷻ بالشكر على أوليائه إلا على اثنين منهم، قال تعالى في إبراهيم ﷺ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١]، وقال تعالى في سيدنا نوح ﷺ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]" (١).

فضل الشكر:

١- قرن الله ﷻ الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال ﷻ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتَمْتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧]، أي إن وفيتم ما خلقتكم له وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم.

٢- أخبر الله ﷻ أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٣- زيادة النعم وبقائها بالشكر ونقصانها وزوالها بالكفر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

٤- قسم الله ﷻ الناس إلى شكور وكفور فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

٥- أطلق الله ﷻ جزاء الشكر إطلاقاً حيث ذكره كقوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

٦- لما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال تعالى على لسان إبليس: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، (١/١٩٩)، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

إن الإنسان يتقلب في نعم الله وهو لا يدري.. ومع ذلك نجد أن أكثر الخلق لا يشكرون الله على نعمه التي أسبغها عليهم، فكان حال أكثر الناس مع تلك النعم ما قاله الله ﷻ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

لكن المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيء حوله، ويرى في كل ذرة في الأرض أو في السماء منحة من الله له تيسر له معيشتة، وتعينه على القيام برسالته في الحياة، إنه يرى نعمة الله في هبة الريح، وسير السحاب، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلال الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات... الخ.

وإذا تحدثنا عن الشكر فلا نستطيع أن ننسى سيد الشاكرين محمد ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفرط رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً^(١)).

وليس لله في شكرنا منفعة تعود إليه، وليس في كفر نعمه ضرر عليه، إنما تعود منفعة الشكر إلى الشاكر، ومضرة كفر النعمة على الكافر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، إنما الذي ينتظر الشكر مخلوق مثلنا، وأنت إذا شكرت الله إنما تبرهن على فهمك لنعم الله، وتقديرك له، إن شكرت فقد وجهت النعمة وجهة الخير والنفع واستعملتها فيما يسعدك في الدنيا والآخرة، وإن كفرت فقد برهنت على سوء فهمك، وعدم تقديرك لربك، وإذا تأملت الكثير من الناس وجدته مهملًا للشكر، غافلاً عنه، منهم من أنعم الله عليهم بالمال، فبعضهم خزنوه، ومنعوا حقوقه، فلم يخرجوا زكاته، ولم يساهموا في مشاريع ينالوا بها رضى الله كبناء مساجد، أو كفالة يتيم، أو مساعدة فقير... الخ.

وبعضهم أنفقوا المال في الملاذ والملاهي، وسائر المحرمات، هذه النعم المفروض أن تغتم في طاعة الله، لا في عصيانه، وقس على ذلك باقي النعم من السمع والبصر واللسان...، لم تبق نعمة إلا وقلبوها ولا هبة إلا وجحدوها، فنزلوا بعد الرفعة، ونزلوا بعد العزة، فإن الله وإنا إليه راجعون.

إن الشكر الحقيقي لا يتحقق إلا بعدة أمور منها:

١- أن يعترف الإنسان بقرارة قلبه بأن هذه النعم واصله من الله ﷻ تفضلاً منه وإحساناً، لا بحوله ولا بقوته.

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد، (٤/٢١٧٢)، ح (٢٨٢٠).

٢- أن يتحدث الإنسان بهذه النعم على وجه الاعتراف بها لله والثناء عليه، لا تطاولاً وفخراً على من حرمها، ولا رياء وسمعة (١).

٣- ويتحقق الشكر باستعمال الجوارح التي وهبها الله ﷻ للإنسان في مرضاته، ولا يستعملها في معصيته، فيستعمل صحته وماله وجوارحه فيما يرضي الله وفي خدمة هذا الدين العظيم، فمن استعملها في معصية الله فقد كفر بما أنعم الله عليه، واستحق العقوبة.

قلت: وبما يستعان به على معرفة نعم الله على العبد، التفكير فيها، وبالتفكر في حالة نفسه قبل وجودها، فمثلاً ينظر إذا كان صحيحاً إلى حاله حينما كان مريضاً، وينظر إذا كان عالماً إلى وقت جهله، وينظر إذا كان غنياً إلى وقت فقره، وهكذا كل نعمة ينظر إلى وجود ضدها الذي كان موجوداً قبل ذلك، أو ينظر إلى من يفتقد هذه النعم، فليعلم أنه فوق الألواف من البشر، فلا شك إن عمل بهذا يعرف قدر النعمة، وفضل الله عليه، فيشكر الله على نعمه، فتدوم عليه بإذن الله، وهو أصدق قائل: ﴿لَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وقيل: "الشكر قيد الموجود وصيد المفقود" (٢).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

لذلك علينا أن نشكر الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.. نشكره على نعمة الإسلام والإيمان والتوحيد... نشكره على نعمة القرآن وكوننا من أمة سيد الأنام ﷺ، نشكره على كل نعمة.

ونعود أبناءنا على حمد الله بعد كل نعمة، وسجود الشكر الفوري بعدها، وأن نمحو من قاموسهم، كلمات: أنا، لي، عندي (مجردة) بل نفرنها بالله ﷻ وفضله، مثل بفضل الله كذا.. بكرم الله عندي كذا.. بتوفيق الله استطعت أن أفعل كذا، ونعلمهم كذلك كيف يستخرجون نعم الله عليهم من خلال قراءتهم للقرآن، ومن مجربات الحياة وأحداثها اليومية.

ويعد.. إن الأمة الشاكرة، أمة قوية، متماسكة، متحابية، خيرة تنتشر في ربوعها الألفة والود، والمسارة إلى المعروف.

والأمة الجاحدة، المنكرة للنعم أمة ضعيفة البنيان، متهاكة على الدنيا تنتشر فيها المفاسد والكذب، والتكبر، وأكل الحقوق وإهدار الأموال وصرفها في وجوه الحرام، فهي إذن أمة مهزوزة، وإن بركة أموالها محقة، وإن الزيادة ممنوعة عنها، وإن جماعات كثيرة في الأمة

(١) انظر: فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، (١٥٥/٩)، أشرف على جمعه وطبعه محمد بن سعد الشويخر.

(٢) تفسير البغوي، (٣/٣١).

ستعيش في حرمان وفاقة مما يؤدي إلى السرقة أو الرشوة وكلها عوامل هدم لاقتصاد الأمة وسبب لزوال النعم عنها، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

ثانياً: الموعدة:

الموعدة لغة: الوعد والعظة والعظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب (١).

الموعدة اصطلاحاً: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب (٢).

لقد عرض القرآن الكريم مبادئه وفق منهج محكم ومتربط، وعالجها بأساليب حكيمة مؤثرة ومتنوعة.

لقد دعا القرآن الكريم إلى استعمال أسلوب الحكمة والموعظة في عرض منهج الإسلام ومبادئه على الناس، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتَّيِّبِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، القرآن الكريم مليء بالآيات المصحوبة بالوصايا، وبالنصوص المقرونة بالمواعظ لتوجيه القارئ إلى ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته، وتكوينه في روحه وعقله وجسمه، وإعداده ليكون رجل دعوة وبطل جهاد.

وسورة إبراهيم - كباقي آيات القرآن - حينما يسمع المسلم آياتها تتلى يخشع لها قلبه، وتتحرك لجرسها روحه، فيعاهد الله ﷻ على أن يعمل بمواعظها، ويمتثل لأوامرها، ويتجنب نواهيها.

واليك بعض هذه الآيات على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِىَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ نُصَدُّوْنَ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدْبَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ

(١) انظر: لسان العرب، (٤٦٦/٧).

(٢) الموسوعة الفقهية، (٨٠/٤٤)، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الكويت.

مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ *
يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧-٩﴾
[إبراهيم: ٩-١٧].

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم للنصيحة، ووجه المرابين والدعاة إلى إلقاء الموعظة، وأهاب بكل مسلم في الحياة أن يكون الداعية إلى الله في كل مكان يحل فيه.

واليكم بعض من سمات وعظه ﷺ:

١- الاقتصاد بالموعظة مخافة السامة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام، مخافة السامة علينا) (١).

٢- الهيمنة بالتأثير الوعظي على الحاضرين: كان يؤثر في الصحابة رضوان الله عليهم بقوة يقينية، وكان يرفع صوته ويحرك يديه كأنه منذر جيش، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي رسول الله ﷺ: (ياخذ الله ﷻ سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها وأنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷻ) (٢).

٣- بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه) (٣).

٤- الموعظة بالتمثيل باليد: كان ﷺ إذا أراد أن يؤكد أمراً هاماً يمثل بكليتي يديه إشارة منه إلى الأمر الهام الذي يجب أن يهتموا به ويمتثلوه، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً (٤).

٥- الموعظة بالرسم والإيضاح: كان رسول الله ﷺ يخط أمام الصحابة خطوطاً ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة، ويقرب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط النبي خطأً مربعاً وخط خطأً في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال:

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة، (٤/٢١٧٢)، ح (٢٨٢١).
(٢) صحيح مسلم، ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صفة القيامة والجنة والنار، (٤/٢١٤٨)، ح (٢٧٨٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، (٢/١٢٣)، ح (١٤٧٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، (٧/٥٣)، ح (٥٣٠٤).

هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو: قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطه هذا نهشه هذا^(١).

٦- الموعظة بانتهاز الفرصة: عن عمر رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي (الأسرى) قد تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فأرضعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولدها)^(٢).

تلكم أهم الأساليب التي كان يتبعها المعلم الأول صلى الله عليه وسلم في وعظه وإرشاده للناس^(٣).

وتكون الموعظة بذكر أيام الله في الأمم الخالية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، وتكون بذكر اليوم الآخر وما يتقدمه قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وتكون بمواقف الخلق وعواقبهم إلى الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥١].

وتكون بغيرها كالتذكير الإنسان بأحوال نفسه، ليعامل غيره بما يجب أن يعامل به، وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦]، وتكون لإقامة الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

على كل إنسان مهما جل قدره، أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة، لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر، واستحق من الله البشري في العاجل، والثواب في

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، (٨/٨٩)، ح (٦٤١٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، (٤/٢١٠٩)، ح (٢٧٥٤).

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان، (٥٣٢-٥٣٧)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة والثلاثون، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤) انظر: تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، (١/٣٢٣)، المحقق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

الآجل، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، كما يجب عليه أن يتعظ بأحوال الأمم الماضية، والملوك الأولين الذي كانوا من أشد خلق الله، وأكثر جمعاً، وأطول أعماراً بنو المدائن وجمعوا الخزائن، وعمروا الديار وجمعوا الجموع، وقادوا الجيوش، وساقوا الخيول، وأذلوا العباد، ومشوا في الأرض مرحاً، واحتالوا بما أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

فأصبحوا بعد العزة والرفعة، والسطوة والصولة، عظاماً رميمياً، ورفاتاً هشيماً، وأصبحت منازلهم خاوية، وقصورهم خالية، وأجسادهم بالية، وأصواتهم منعمة.

فيحذر المغتر بملكه، والتمتع بعزه، هذه السرعة، ولينتبه لهذه الموعظة، ويجعلها في أوائل مواظبه (١).

وعلى المري أن يطبق ما يعظ الناس به، وإن لم يطبق ما يعظ الناس به فلا أحد يقبل كلامه، ولا إنسان يتأثر بموعظته، بل يكون محل نقد العامة، واستهزاء الخاصة.

كما عليه أن يأخذ بطرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الوعظ والإرشاد لكونها أحسن الطرق وأفضل الأساليب.

ثالثاً: التحذير من كيد الشيطان:

علاقة الإنسان مع الشيطان علاقة صراع وتحدي من قديم الزمان، وقد بدأت عندما دُعي الشيطان للسجود لأبينا آدم عليه السلام، فأبى واستكبر كما حكى ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: ١١٦]، وكما هو معلوم فقد توعد الشيطان بني آدم وأقسم بعزة الله ليغوينهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فِعْرَتِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وإغواؤه مستمر لبني آدم إلى يوم القيامة، لكن ليس له سلطان على المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]، وفي سورة إبراهيم تصريح خطير بضعف كيد الشيطان ووساوسه، وبكذبه وخيانتته، واعترافه بتوسل أتباعه مسئولية ذنبهم وخطيئتهم لأنهم هم الذين استجابوا لدعوة الشيطان، قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي

(١) انظر: موارد الظمان لدروس الزمان، عبد العزيز السلطان، (٦/٢٢١)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

وَلَوْ مَوَّأ أَنفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر، هو أن يلقي الإنسان في الجحيم ويحرمه من الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] . هذا العدو الخبيث حريص على إضلال بني آدم، ولكنه ضعيف أمام التزام المسلم بمنهج الله حقاً .

إن المسلم إذا التزم بمنهج الله حقاً ضعف عنه الشيطان، قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده ما لفيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) (١) .

وما ذلك إلا لقوة عمر رضي الله عنه في الحق وصدقه في اتباع المنهج الرباني، ومن هنا فاعتصام المسلم بالكتاب والسنة، وطاعته لله ورسوله هو السبيل الوحيد للنجاة من الوقوع في الزيغ والضلال ومن سبل الشيطان .

في الحاضر حيثما نظرنا أبصرنا أولياء الشيطان تعج بهم الحياة، يرفعون رأيتهم، وينادون بمبادئهم، ولم يعتبروا بما جرى لأبائهم، ولا بما جرى لأسلافهم .

وما أقبح أن يصدق ظن العدو في عدوه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠] قبيح بالإنسان أن يتحقق فيه ظن الشيطان فيطيع هذا العدو، ويعصي ربه .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

حريٌّ بالعاقل اللبيب أن لا يغتر بكثرة الهالكين، فالكثرة ليس لها اعتبار في ميزان الله، إنما الاعتبار بالحق ولو قلّ عدد متبعيه .

فكن من أتباع الحق الذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، الذين عرفوا الشيطان وأتباع الشيطان، فحاربهم بالحجة والبرهان والسيوف والسنان وقبل ذلك بالالتجاء إلى الرحمن، والتمسك بدينه (٢) .

وتلاوة القرآن، ومجالسة العلماء والصالحين والإكثار من ذكر الله، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء وغير ذلك، إذا فعلت ذلك لم يكن للشيطان عليك سبيل، والشيطان نفسه

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، (٤/١٨٦٣)، ح (٢٣٩٦) .

(٢) انظر: عالم الجن والشياطين، د. عمر سليمان الأشقر، (٢١٣-٢١٥)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،

هو الذي أرشد أبا هريرة رضي الله عنه، وقدم له النصيحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقك وهو كذوب. ذاك الشيطان) ^(١) وبعد ... اعلم أنك مع الشيطان في معركة، فلا تستسلم لوساوسه وكيدته، وعليك بمجاهدة نفسك على سلوك سبيل الهدى والفلاح، وارق بنفسك نحو المعالي واسلك بها مدارج الصلاح والكمال، ومن جد وجد، ومن سار على الدرب وصل، وإياك والتسويق، واحذر لبيت ولعل وسوف ولو أني، فإنها تفتح أبواب الشيطان، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، وما بلغ من بلغ إلا بالجد والعمل لا بالتسويق والكسل.

رابعاً: ميزان التبعية للآخرين:

تناولت سورة إبراهيم حوار بين (الطغاة المستكبرين والضعفاء التابعين) حوار في عالم آخر، حوار أمام رب العالمين، إنه في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَبَرُّواْ لِلّٰهِ جَمِيْعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

هنالك في ذلك اليوم العصيب تقف الخلائق جميعاً (برها وفاجرها وطائعها وعاصيها) أمام رب العالمين، يوم كان العصاة والطغاة يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش والمعاصي، وعند تدبير الكيد للمسلمين، ظانين أن ذلك خافٍ على الله تعالى وأنه لا يراهم، لكن في ذلك اليوم ينكشفون لله تعالى ويعرفون أن الله لا تخفى عليه خافية صلى الله عليه وسلم.

والضعفاء هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم، تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين والطغاة ^(٢).

هناك ينادي هؤلاء الضعفاء على سادتهم، ويذكرونهم بما كان منهم من ولاء تام وطاعة عمياء، وكيف كانوا لهم عبيداً طائعين، لا يعصون لهم أمراً، وقال تعالى على لسانهم: ﴿اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني مهينة موحية بالذل والانكسار.

يخاطب هؤلاء الضعفاء سادتهم، ويقولون لهم: هل أنتم تدفعون أو تخفون عنا اليوم شيئاً من هذا العذاب، كما كنتم تمنوننا في الدنيا؟ وهنا يفترض عجز المستكبرين، ويعترفون بالعجز

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، (٦/١٨٨)، ح (٥٠١٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٠٩٦).

والذل والضعف.

إن كثيراً من المسلمين اليوم يقولون بأفواههم لا إله إلا الله محمد رسول الله ويرددونها مرات عديدة، ويعلمون كذلك أن هذه الشهادة هي شرط الإسلام، ثم ننظر إلى حياتهم وتصرفاتهم فنجدهم ينقضون هذا العهد، ويكذبون هذه الشهادة بتصرفاتهم وأعمالهم، وفي تصوراتهم وأفكارهم وأخطر أنواع التصرفات التي تناقض الإسلام وتهدمه، صرف التبعية والولاء لغير حكم الله وشرعه، وانظر إن شئت في بلاد المسلمين، تجد كثيراً من المسلمين أفراداً وشعوباً قد صرفوا ولاءهم وتبعيتهم إلى حكام طواغيت أو إلى أمراء وسادة، أو إلى أحيار وكهنة شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، وأفتوا بغير علم سعيّاً وراء شهوة أو شبهة سار كثير من المسلمين في ركاب أولئك الطواغيت ينفذون ما يُملى عليهم سادتهم، فيحملون السياط للمجاهدين والدعاة، وينزلون بهم أشد ألوان العذاب، ويطاردونهم في كل مكان بتهمة الإرهاب، فهؤلاء طمس على عقولهم وقلوبهم بل على كل جوارحهم، فأصبحوا لا يسمعون إلا بسمع سادتهم ولا يبصرون إلا ببصرهم.

تحول هذا المظهر إلى واقع أليم، بشرٌ يُشرعون ويحكمون، وآخرون يُنفذون ويخضعون.

وحرس تلك المخالفات والتجاوزات، أولئك المستكبرون بقوة شرعهم وقانونهم وعبدوا المسلمين لغير الله، فخضع أكثرهم وأعطى تبعيته وولاءه لغير الله تعالى، ونسي المسلم المسكين كتاب ربه، وهو يحذره عاقبة التبعية لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

١- إياك أن تتبع في أمر إلا إذا اقتنعت أنه يأتي لك بخير، وأنه يدفع عنك الشر، ولينتبه كل منا جيداً ولا يعطي زمام قيادة حركة الحياة إلا عن بينة، فحين يأتيك أمر مخالف لمنهج الله، عليك أن تُعلي منهج الله فوق كل أمر (١).

٢- قد يعتذر بعض المتبعين للكفار بأنهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المصالح الدنيوية، فهذا الاعتبار لا تصح في الدين، ولا تعتبر عذراً ولا حجة لصاحبها، فهي من باب حب الدنيا والتعلق بزینتها وهي من تزيين الشيطان للشر،

(١) تفسير الشعراوي، (١٢/٧٤٨٠).

فإنه تعالى لم يقبل عذراً لأحد في إظهار تبعيته للكفار وطاعتهم إلا عذراً واحداً هو:
الإكراه.

٣- إن المستضعفين كثرة، والمستكبرين قلة، والذي يخضع الكثرة للقلة هو ضعف الروح وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله لبني الإنسان، إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل في نفوس الأذلاء.. وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطغاة^(١).

٤- على الزعماء والقادة أن يتقوا الله في رعيته، وعليهم أن يعرفوا أن هذه الرعية أمانة في أعناقهم، وأن الله سيسألهم عن كل واحد في هذه الرعية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...)**^(٢)، وعليهم أن يفقدوا رعيتهم إلى بر الأمان، ويبتعدوا بهم عن الضياع والذل والهوان، حتى لا يأتي اليوم العصيب، ويقول فيه الأتباع لرب العالمين، أن يزيد هؤلاء الطغاة ضعف العذاب، وأن يلعنهم لعناً كبيراً قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

ومن هنا وجب على كل ذي فهم وإدراك، ألا يصرف تبعيته وولاءه لغير الله تعالى، وأن يستعلي بإيمانه الذي وهبه الله إياه، وأن يعتز بالعبودية التي شرفه الله بها، وألا يتنازل مثقال ذرة ولا أقل منها عن عبوديته لغير الله، هذا إن أراد العافية والسلامة.

المطلب الثالث: منهج الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة إبراهيم:

ويشتمل على خمسة نقاط:

أولاً: الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة:

حوى القرآن الكريم بين دفتيه أساليب شتى لفتح القلوب والعقول، وكان المفتاح الأهم هو دعوته إلى الكلمة الطيبة والقول الحسن قال تعالى: ﴿أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٠٩٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٥/٢)، (٨٩٣).

في هذه الآيات الكريمة يخاطب الله ﷻ كل من يسمع هذه الآيات العظيمة ويقول له: ألم تر كيف مثل الله ﷻ الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة الثابتة السامقة المثمرة، التي لا ترزعزعا الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان، وإن خُيِّلَ للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان.

"وإن الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض وما هي إلا فترة حتى تجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء" (١) والكلمة الطيبة هي كل كلمة جاءت من واردات الحق والخير، والكلمة الخبيثة ما كانت من واردات الباطل والضلال والشر، وكلمة "لا إله إلا الله" هي مجمع كل كلمة طيبة، فمن لم تسكن إلى قلبه هذه الكلمة لا يجيء منه طيب أبداً، والكلم الطيب كثير لا يكاد يحصر... تختلف أشكاله، وتتعد صورته، كما أن الشجر الطيب كثير، تنتوع ثماره وتختلف طعومه وتتفاضل مذاقاته (٢) وأصحاب الكلمة الطيبة يفوزون في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بنباتهم على كلمة الحق والتوحيد، ونباتهم على طاعة الله، ونباتهم على دينهم، رغم الفتن التي يتعرضون لها، كما ثبت أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد (٣)، وبيبتهم في الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح (٤).

والقرآن الكريم يدعونا إلى أن نختار الكلام الحسن الذي يجمع ولا يفرق ويقرب بين المتباعدين، ويغسل الحقد من قلوب الحاقدين والحاسدين ولو تدبرنا كتاب ربنا ﷻ لوجدنا فيه آيات كثيرة تلفت انتباهنا، وتدعونا إلى الكلام الطيب، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] ، وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣] .

(١) في ظلال القرآن، (٤/٢٠٩٩).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، (٧/١٧١).

(٣) انظر: محاسن التأويل، (٦/٣١٥).

(٤) انظر: السعدي، (١/٤٢٥)، التحرير والتنوير، (١٢/٢٢٦).

سار الرسول ﷺ على هذا المنهج فكان الرسول ﷺ قرآناً ناطقاً، أسحر القلوب، وسبى العقول بحسن أسلوبه، وعذوبة منطقته، وطهارة مقصده، وسار على نهجه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فسطر لهم التاريخ أروع مواقف الحكمة، واللفظ واللين في سيرة دعوتهم، مما أهلهم لأن يفتحوا أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وأذاناً صمّاً، فجاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين.

لقد اقتدوا برسول الله ﷺ حق الاقتداء، واتبعوه أدق الاتباع حتى ذاع صيتهم خارج الجزيرة العربية، فأحبهم العدو والصديق، لعدلهم وطيب كلامهم، وحسن معشرهم (١).

إن الكلمة الطيبة في الإسلام تملك أصولاً راسخة ذات سمات ربانية، مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، لا تضل أبداً ما تمسكت بهما.

والكلمة الطيبة تزهر في النفس لتنتفح بأجمل أزهار الخير والحب التي يعبق شذاها فواحاً في كل زمان ومكان، والكلمة الخبيثة تنته الرائحة تصدر عن بؤر نفسية عفنة.

لأننا أمة متميزة تؤمن بقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فالرقابة الإيمانية واستشعار أمانة الكلمة، تفرض على المسلم حساً إيمانياً يرقى به نحو السمو إلى مرتبة الإحسان في الكلمة، فيكون في موقع قول رسول الله ﷺ: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (٢) فتنهذب نفسه تبعاً لهذا، ويتربى على أن يزن الكلمة بميزان الحق والعدل ويميز بين الطيب والخبيث.

فالإسلام يحوى ثوابت لا تتغير، يستقي المسلم منها الضوابط والمعايير لجميع شؤون حياته، ومنها الكلمة، فكل ما حسنه الشرع فهو حسن، وكل ما قبحه الشرع فهو قبيح.

ومن ضوابط الكلمة الطيبة:

أولاً: أن تكون كلمة صدق، فالزور والباطل والكذب لا يمكن أن يكون طيباً.

ثانياً: أن يكون صاحبها عاملاً بها، فلا يكفي أن نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا، والله يمقت على ذلك كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

(١) انظر: الكلمة الطيبة وأثرها في النفوس، (١١، ١٢)، أحمد عمر النعمة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، (١٩/١)، جزء من ح (٥٠).

ثالثاً: أن يكون المراد من وراء الكلمة هو الله، والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] (١).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

وبعد... فليحذر المسلم مما حذره منه ﷺ بقوله: (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها يُزَلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) (٢).

ليكن شعارنا قول رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) (٣).

ونحن ندعو من استطاع أن يجود بكلمة ترقى بمسؤولية الكلمة، وتدعو إلى الإصلاح والتغيير ألا يتوانى أو يتردد، إذ إن من أسباب العزة ووسائلها الكلم الطيب، الذي يفتقر إليه واقعنا المعاصر.

ثانياً: الزاد الروحاني:

أصل الإنسان من شقين اثنين: مادي أرضي، وروحاني علوي ومن هنا كان لكل شق ما يناسبه من غذاء، وما يهذبه من أحكام فغذاء البدن من جنس الأرض أي مما يخرج منها من الحبوب والثمار، وغذاء الروح من جنس خلقتها وهو الغذاء الرباني من وحي الكتاب والسنة فإذا غذى الإنسان روحه بالغذاء السليم سمت وارتفعت وصحت وسلمت من الأمراض.

وإذا أهمل الإنسان غذاء روحه أو غذاها بالغذاء البشري بأن جعل صلته بالمبادئ الوضعية والمعتقدات الزائفة، أو انقادات لمذات الجسد الترابي فتغذت بغذائه واستغنت به عن غذائها الرباني ضعفت وخارت وتاهت ولم يقر لها قراراً، وضافت عليها الأرض على سعتها (٤).

(١) انظر: أضواء على أوضاعنا السياسية، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، (٢٠/١)، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (١٠٠/٨)، ح (٦٤٧٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، (١١/٨)، جزء من حديث (٦٠١٨).

(٤) انظر: دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، (١٧٢/١)، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

وقد عرضت سورة إبراهيم لبعض هذا الزاد كما يلي:

١ - إقامة الصلاة:

ذكرت الصلاة في سورة إبراهيم في آيات عديدة متناثرة في السورة:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾ [إبراهيم: ٣١] ، الصلاة عبادة عظيمة، وركن من أركان الدين العظيم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) ^(١)، وإقامة الصلاة تعني المحافظة عليها بما فيها من ركوع وسجود وخشوع، وعندها تكون الصلاة زاداً لهم على الطريق، تأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر.

٢- ذكرت الصلاة على لسان إبراهيم عليه السلام في دعائه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

٣- وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي...﴾ [إبراهيم: ٤٠] ، استفتح سيدنا إبراهيم دعاءه وختمه بالتوسل إلى الله، بأن يجعله وذريته مقيمين للصلاة، محافظين عليها، وقد خصت الصلاة بدعاء سيدنا إبراهيم، دون غيرها من العبادات لأهميتها وعظمتها فالصلاة التي يريدتها الإسلام، ويأمرنا بإقامتها، ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح، بلا تدبر من عقل، ولا خشوع من قلب ولكن الصلاة المقبولة هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية، واستحضار عظمة الله ﷻ.

إن وقوف الإنسان في الصلاة بين يدي الله ﷻ في خشوع وتضرع يمدّه بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي ^(٢)، الذي يعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] .

هذه هي الصلاة التي كانت قرة عين رسول الله ﷺ، والتي كان يحن إليها، ويتلهف عليها، ويقول لبلال: (أرحنا بها) ^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام، (١/١١)، ح (٨).

(٢) انظر: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، (١٩٠).

(٣) مسند الإمام أحمد، (٩٣/٣)، ح (٢٣٠٨٨)، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢- الإنفاق في سبيل الله:

يعتبر الإنفاق في سبيل الله هو الزاد الروحاني الثاني في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ [إبراهيم: ٣١] .

تعتبر الزكاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تحث على الإنفاق في سبيل الله، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ [البقرة: ٢٥٤] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾ [النور: ٣٣] ، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

للزكاة فضائل أخلاقية عظيمة إذ إنها تعبير صادق عن التقوى والبر والإحسان، ودليل على الأمر بالمعروف، وعمل بما نص عليه الشارع فهي طاعة لله وإخلاص له تعالى.

كما أنها تقوي في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين وتبث فيه الشعور بالمسئولية نحوهم، وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والترفيه عنهم، وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع وتكون له زادا في هذه الدنيا، وهذا السفر الطويل الشاق حتى يصل إلى بر الأمان.

٣- التوكل على الله:

وأما الزاد الروحاني الثالث فهو التوكل على الله، فهو عبادة من أفضل عبادات القلوب، وخلق من أعظم أخلاق الإيمان، ولقد جاء ذلك على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١-١٢] .

وقد أمر الله رسوله بالتوكل في تسع آيات من كتابه العزيز.

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾
[الفرقان: ٥٨] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠] .

* وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] .

* وقوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾
[الأحزاب: ٤٨] .

وأمر المؤمنين عامة بالتوكل.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] .

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١] .

وبين القرآن آثار التوكل، سأذكر بعضها خوف الإطالة:

* قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩] .

أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجانبه (١).

وأرى أن أحوج ما يكون المسلم إلى التوكل إذا كان صاحب دعوة، وطالب إصلاح فهو يجد في التوكل حصناً حصيناً، يلوذ به في مواجهة الظلمة والكفرة فإن من توكل على الله وانتصر بالله فلن يغلب أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَحْذُكُمُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن زاد الروح لا يقتصر على الصلاة والإنفاق والتوكل فحسب بل إن كل طاعة إلى الله ﷻ زاد للروح.

وإن ما نراه اليوم من قلق واضطراب وخوف، وأمراض عصبية ونفسية، هو نتيجة لخواء الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة من زاد الروح، من الإيمان بالله والاطمئنان إلى الله، وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها السعي إلى رضا الله، وإلى الإصلاح والتغيير.

قلو تأملنا حال سلفنا الصالح بدء من النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وانتهاءً بالمعاصرين، لوجدتهم أحرص على زاد الروح من زاد أبدانهم، لما فيه من سعادة الدنيا والآخرة.

فيا من غفل عن زاد الروح، أسرع إلى التأمل في نصوص القرآن الكريم وانهل من علومه وما يحويه من لآلئ تشبع النفس أمناً وتزيد القلب رشداً، وتثقل الموازين عملاً صالحاً تنتفع به في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الداعية الحليم:

الحلم لغة: الحلم بالكسر هو الأناة والسكون مع القدرة والقوة (٢).

الحلم اصطلاحاً: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم (٣).

(١) انظر: في الطريق إلى الله (التوكل)، د. يوسف القرضاوي، (١٠-١٥)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٢) الكليات، (١/٤٠٤).

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (١/٩٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

تفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعه الأليم محتفظاً برجاحة فكره وحسن خلقه .

ومع أن للطبع الأصيلة في النفس دخلاً كبيراً في أنصبه الناس من الحدة والهدوء، والعجلة والأناة، إلا أن هناك ارتباطاً مؤكداً بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين، وتجاوزه عن خطئهم، فالرجل العظيم حقاً كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس والتمس المبررات لأغلاطهم (١) .

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو إلى خلق اللحم وتتخذة أساساً لمنهج الدعوة، وطريقاً إلى الوصول لإصلاح الأفراد، وهداية الجماعات ... ومن استعراض صفحات سورة إبراهيم، وحوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام نخلص إلى عدة أمور، منها:

* أن على الداعية أن يتلطف بالناس، ويأخذ بأيديهم برفق ولين، ويظهر لهم حرصه عليهم، وحبه لهم، ويذكرهم بالنعم التي أسداها الله إليهم، تارة بالتوبيه بالتذكرة، وأخرى بالتوبيه بالتقوى، وثالثة بالموعظة، ورابعة بالحض على النصح، وخامسة بالإغراء بالترغيب، وسادسة باستعمال أسلوب التهديد، وسابعة بالاستغفار والدعاء لهم ... وهكذا يجد القارئ خلق اللحم والصفح ومعانيه بقوالب متعددة، وأساليب متنوعة .

وسأعرض إن شاء الله حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه أولاً:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ . [إبراهيم: ٦-٨].

فلاحظ في هذا الحوار أن سيدنا موسى عليه السلام قد بدأ يذكرهم بعدة أمور:

يذكرهم بالنعم التي أنعمها الله عليهم، ثم بين لهم حقيقة أكيدة وعظيمة أن النعم تزيد بالشكر وتنقص بالكفر، وأن الله تعالى مستحق للحمد وللشكر، ويستمر سيدنا موسى عليه السلام في حوار قومه، ولكن هذه المرة يحثهم إلى النظر والتفكير في أحوال الأمم السابقة، وما حل بتلك الأقوام من عذاب وهلاك بسبب تكذيبهم وايدائهم لرسولهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٍ

(١) انظر: خلق المسلم، (١٠٨) .

نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدَّبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٩-١٢﴾ [إبراهيم: ٩-١٢].

فبدأ ﷺ حوار له لقومه ببيان أن الله ﷻ أرسل رسله بالآيات الدالة على صدقهم، ومن ثم اتجهوا بها إلى أقوامهم لدعوتهم إلى عبادته سبحانه فما كان من الأقوام إلا أن كذبت رسلها، وأذوهم، وأعلنوها صريحة بأنهم لا يصدقونهم فيما جاءوا به .

* قال تعالى: ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩] .

وهنا تظهر سعة صدر الرسل، وصبرهم على أذى أقوامهم، فكل الذي يشغلهم - عليهم الصلاة والسلام - هو هداية أقوامهم .

فلم يحاولوا أن يثبتوا لهم صدق نبوتهم، ويجادلوه في هذا الأمر، وإنما انتقلوا بهم إلى شيء محسوس وملمس، ووجهوا أنظارهم إلى التفكير والتأمل في هذا الكون الذي يعيشون فيه من أرض وسما، ثم تتجه الرسل إلى أقوامها، وتخبرهم بأن الله ﷻ بعظمته وقدرته، يدعوهم للإيمان وترك الكفر، ليغفر لهم ما قد سلف من الشرك، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠] .

ويستمر الحوار بين الرسل وأقوامهم وكأن الأقوام سلمت بوجود الله - سبحانه - ولكن يجادلون الرسل في حقيقة بشريتهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠] .

ولكن الرسل ترد عليهم بثقة كبيرة، بأنهم بشر مثلهم، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها لغيرهم من البشر .

وبعد أن قطعت الرسل الأمل في استجابة أقوامهم راحوا يفوضون أمرهم إلى الله ﷻ، ويتوكلون عليه في كل أمورهم .

وينتهي الحوار بتبشير الله ﷻ لرسله وأتباعهم بالنصر ولو بعد حين، أما عن حلم سيدنا إبراهيم عليه السلام وسعة صدره فقد ظهرت جلية في سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

تبدو سمة إبراهيم العطف الرحيم الأواه الحليم، فهو لا يطلب الهلاك لمن يعصيه من نسله ويحيد عن طريقه، ولا يستعجل لهم العذاب، إنما يكلمهم إلى غفران الله ورحمته، ويلقي على الجو ظلال المغفرة والرحمة، وتحت هذا الظل يتوارى ظل المعصية، فلا يكشف عنه إبراهيم الرحيم الحليم (١).

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن الحلم من الصفات الأساسية التي تساعد على إنجاح المربي في مهمته التربوية، ومسئوليته التكوينية والإصلاحية .

فيها يجذب الولد نحو معلمه، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة، ويتحلى عن الأخلاق المرذولة .

من أجل هذا حض الإسلام على الحلم ورغب فيه في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية .

من هذه الآيات:

* ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

* ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

من هذه الأحاديث:

* قال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم والأناة) (١).

ويتفرع عن الحلم الرفق في الأمور كلها .

(١) في ظلال القرآن، (٢١٠٩/٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، (٤٨/١)، ح (١٧).

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يا عائشة: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) (١) .

رابعاً: أثر الدعاء في الدعوة إلى الله:

أمر الله سبحانه بدعائه والتضرع إليه والطلب منه، وقد وعد سبحانه بأن يستجيب من يدعوه، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

وتلبية لأمر الله ﷻ توجه إبراهيم خليل الرحمن ﷺ بعد بناء بيت الله الحرام إلى الكريم المنان - جل وعلا - سائلاً ومتوسلاً وداعياً فقال كما حكى الله عنه: البلد ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) ﴿ [إبراهيم: ٣٥-٤١] .

يتوجه الخليل إبراهيم في مشهد ضارع إلى الله ﷻ أن يمنح هذا البلد الطاهر نعمة الأمن، فلا يُسْفك فيه دم، ولا يُظلم فيه أحد، وبعد أن طلب نعمة الأمن في النفس والمال، طلب الأمن في العقيدة فيدعو لنفسه وأهله بأن يمن الله عليهم بنعمة الإيمان، ثم يتجه مرة أخرى إلى الله ﷻ ويوكل إليه سبحانه علم كل شيء، ثم يلهج لسان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بالحمد والشكر شأن العبد الصالح الذي لا ينسى نعم الله عليه، وما زال سيدنا إبراهيم يلهج لسانه بالدعاء فيطلب من الله ﷻ أن يجعله مقيم الصلاة هو وذريته وأن يتقبل دعاءه فيما سأله من الأمور، ويختتم الخليل دعاءه الضارع الخاشع بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعاً (٢) .

الدعاء هو الصلة التي تربط العبد الفقير العاجز بربه القوي الغني، ففيه قضاء حاجته، وفتح باب الأمل واسعاً إذا اشتد الخطب وعظم البلاء، وهو البديل عند الشدة لليأس والقنوط واضطراب النفس، كما أنه العاصم من تدمير النفس بالانحراف أو الانتحار .

(١) صحيح البخاري، كتاب استنابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، (١٦/٩)، ح (٦٩٢٧) .

(٢) انظر: في رحاب التفسير، (١٣/١٩٤٠)، (١٦٩٢) .

فالمسلم الذي يدعو ربه إذا نزل به الخطب أو ضاق به أمر، فقد آوى إلى ركن شديد، وظفر بحاجته والأنس بربه، وأيقن أنه ليس وحده والله معه، ففي الدعاء عزة النفس بالذل بين يدي الرب في أثناء الدعاء، وكمال العبودية في كمال الذل بين يدي الرب ﷻ، والعبودية هي وسام الإنسانية الأكبر .

لقد عاب الله أقواماً نزلت بهم المصائب والبأساء، فأعرضوا عن ربهم، ولم يدعوه لكشف ضرهم، فلم يرفع عنهم تلك النازلة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦] .

"وحذر من دعاء غيره، سواء كان ملكاً من الملائكة، أو نبياً من المرسلين، أو ولياً من الصالحين، أو أي مخلوق حياً أو ميتاً" (١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧] .

ولقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في الترغيب في الدعاء ببيان أن الله تبارك يُعطي السائلين، ويُحيب الداعين، ولا يُخيب رجاء المؤمنين، فهو سبحانه حيي كريم وأكرم من أن يرد من دعاه، أو يُخيب من ناجاه أو يمنع من سألته، عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: (أنا عند ظن عبدي بي وأنه معه إذا دعاني) (٢) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

أين نحن عن ذلك السلاح العظيم، والمنجي لنا من بطش الأعداء؟

أين الإلحاح على الله بأن يكشف الضر عن المسلمين؟ وأين الانطراح بين يديه؟ وأين

الانكباب على بابه؟

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. محمود بن أحمد بن فرج الزحيلي، (١٣٢/١)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، وانظر: شرح ثلاثة الأصول لابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله (٢٦٠٧/٤)، ح (٢٦٧٥) .

إننا أحوج ما نكون في مثل هذه الأيام لهذا السلاح، لأن اليهود علوا علواً كبيراً، وطمغوا طغياناً عظيماً، وأفسدوا إفساداً مبيئاً، حيث قتلوا واعتقلوا وشردوا عشرات الآلاف من الفلسطينيين، وقطعوا الأشجار، ونهبوا الأموال، وهدموا المنازل على أهلها، وخرّبوا كل عامر، وغير ذلك مما يعجز القلم واللسان عن وصفه ورسمه .

إن العجب كل العجب حين تجد أناساً يستقلون بالدعاء لإخوانهم المجاهدين، وحاملي رايات المقاومة الإسلامية، والأغرب من ذلك أن يقول البعض: لقد دعونا الله ولم يستجب أو أن يقول البعض: إن ما يكتبه الله سيقدره سواء دعونا، أو لم ندعه، فكل مقدر ومكتوب .

إلى هؤلاء أقول: يا من قلتم إننا دعونا الله ولم يستجب لنا، هل ابتعدتم عن جميع الموبقات والفواحش، والظلم وموانع إجابة الدعاء؟ وهل دعوتكم الله بقلب صادق، وضمير حي حاضر؟

ألحوا في الدعاء، فإن الله يحب الملحين في الدعاء، واطلبوا الخلاص من الصليبيين والصهاينة، والعزة والرفعة لكافة بلاد المسلمين .

وليكن شعارنا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] .

من فوائد الدعاء:

- ١- إعلان التوحيد، فأعظم الناس توحيداً أكثرهم دعاءً؛ لأنه دليل على الاتصال بالله .
- ٢- صدق العبودية، فبالدعاء تكون صادقاً في العبودية قريباً من الواحد الأحد .
- ٣- التعرض لمحبة الله، فأحب العباد إلى الله أقربهم وأكثرهم دعاء .
- ٤- قرب العبد من الله؛ لأن العبد إذا أكثر من الدعاء استشعر القرب من الله .
- ٥- الثقة بموعود الله، فالوائق كثير الدعاء، والفاشل المهزوم المتردد قليل الدعاء .

خامساً: الابتلاء سنة الله في الدعوات:

إن إيذاء المصلحين ومن قبلهم الأنبياء والمرسلون، هو سبيل الطغاة الظالمين عندما يفشلون في مقاومة الحجة بالحجة، ودفع المبادئ بالمبادئ وإن التاريخ ليحدثنا، وكتاب الله بين أيدينا ليدلنا على أنه لم ينج نبي أو رسول أو مصلح قط من أذى الأفاكين المضللين^(١) .

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاء، د. محمد السيد الوكيل، (١٩)، دار المجتمع، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

وقد جعل الله ﷻ الابتلاء سنته ليعلم الصادق من الكاذب، وليعلم المؤمن من المنافق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

ولا يعرف المسلم قيمة دعوته، ولا يذيق حلاوة توحيده إلا بعد أن تتعرض نفسه ومشاعره وجوارحه وأحاسيسه وغرائزه للامتحان والابتلاء فيثبت أو ينهزم .

وقد ظهر في سورة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أن الرسل عليهم الصلاة والسلام تعرضوا للأذى والتعذيب، وأن أقوامهم تناولوا عليهم وحاولوا النيل منهم ولكنهم صبروا واحتملوا.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩] ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ [إبراهيم: ١٣].

الدنيا دار ابتلاء واختبار وتكليف بالشاق من الأعمال، فلا يكفي مجرد إعلان الإيمان بالله تعالى ورسوله، بل لا بد من الابتلاء بأنواع المصائب، ويكون الابتلاء سبيلاً للرقى إلى أعلى الدرجات، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) ﴿[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

طريق الدعوة إلى الله مليء بالأشواق والعقبات وليس مفروشاً بالورود، والأصل أن نصبر ونتحمل ونتخطى العقبات دون توقف أو تنازل أو انحراف، وسنتعرض إلى بعض الانحرافات أو الأخطاء حول المحن لكي نتفادها:

- ١- من الخطأ أن يظن البعض أن المحن ليست أمراً طبيعياً على طريق الدعوة .
- ٢- أن تحدث المحن اهتزاز في الثقة بطريق الدعوة، بأن يقال لو أننا على الحق لنصرنا الله ولما مكن أعداء الله منا يفعلون بنا ما يفعلون .
- ٣- اللجوء إلى تأييد الظالم، وإعلان الولاء له، كوسيلة للإعفاء من الإيذاء .
- ٤- أن تؤدي المحن إلى القعود عن الطريق وعدم مواصلة السير، فالأصل هو الثبات وأن نوطن أنفسنا على الصبر والتحمل واستمداد العون والثبات من الله .

٥- أن يتطرق اليأس إلى بعض الأفراد بسبب المحن وشدتها وطولها، وتضعف الثقة في الله وتأييده، والثقة في المستقبل وما نأمل أن نحققه (١) .

من فوائد الابتلاء:

١- لذة الانتصار: فإن الله . أقر عيون الصحابة بعد أن كانوا مستضعفين بالنصر، وما أحسن الإنسان يجاهد ويبذل ويعطي ثم ينتصر في آخر المرحلة .

٢- الأجر العظيم: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يصيبه أذى مرضاً مما سواه، إلا حظَّ الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها) (٢) .

٣- تحقيق العبودية لله: كثير من الناس يعلن أنه عبد لله، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه خسر الدنيا والآخرة .

٤- التربية بالصبر: لقد أدرك لقمان الحكيم، وهو يوصي ولده وصيته المشهورة التي ذكرها القرآن الكريم حيث يقول - تبارك وتعالى - : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧] ، ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ لأن الإنسان عندما يتعرض لدعوة الناس إلى الخير، لا بد أن يتصدى له أهل الشر وبناله منهم أذى ولو كان قليلاً .

وبعد ... الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يمكن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، فينصره معدنها في الأحداث فيميز الله الخبيث من الطيب .

فقد شاء الله أن يبتلي المؤمنين، ويختبرهم ليحصص إيمانهم، ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك .

ولذلك جاء هذا المعنى على لسان الشافعي حين سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يمكَّن أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يمكَّن حتى يبتلى .

والله ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع أماً مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير،

(١) انظر: من فقه الدعوة، مصطفى مشهور، (١/٢٢٥-٢٣١)، دار التوزيع والنشر الإعلامية ١٤٢٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض (٧/١١٨)، ح (٥٦٦٠) .

وأشقاها من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر (١) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

إن النفس تصهرها الشدائد فتنتفي عنها الخبث، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسينيين: النصر أو الأجر وهؤلاء الذين يسلمون الراية في النهاية (٢) .

على الداعية أن يقول كلمة الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، فلا بد أن يؤدي، وأن يبنتلى، وأن يمتحن، وهذه علامة على أنه على الطريق .

فلا تقنط، واحمد الله أنك على الطريق، واسأل الله السداد، واصبر على ذلك .

المطلب الرابع: منهج الإصلاح والتغيير السياسي في سورة إبراهيم:

ويشتمل على أربع نقاط:

أولاً: الاستخلاف في الأرض:

إن الله تعالى تحدث في سورة إبراهيم عن استخلاف الله ﷻ للمؤمنين العاملين الصالحين، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

الإسكان والاستخلاف لمن خاف الله، فلم يتناول ولم يتعال، ولم يستكبر، ولم يتجبر وخاف وعيد الله، فحسب حسابه، واتقى أسبابه، فلم يفسد في الأرض، فهو من ثم يستحق الاستخلاف وبناله باستحقاق (٣) .

والمتدبر في آيات القرآن يجد آيات كثيرة تتحدث عن هذا الوعد، أذكر منها:

* قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] .

(١) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١٣/٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون .

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٧٢١/٥) .

(٣) انظر: المرجع السابق، (٢٠٩٣/٤) .

* وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥-٦] .

* وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

* وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصفات: ١٧١-١٧٣] ^(١) .

من خلال تدبر الآيات نخلص إلى العوامل التي تساعد على الاستخلاف والتمكين في الأرض، والشروط التي ينبغي على الإنسان أن يتبناها حتى ينصره الله ويؤمن له في هذه الأرض.

١ - الإيمان بالله والعمل الصالح:

إذ لا يتحقق الاستخلاف والتمكين للإنسان في هذه الأرض إلا إذا حقق إيمانه بالله، وأتبع هذا الإيمان بالعمل الصالح الذي يرضي الله ﷻ، وهذا وعد يعم جميع الأمة ^(٢) .

* قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] .

ولقد أخبرنا الله ﷻ عن حال عباده الذين يواجهون إفساد اليهود فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥] .

٢ - الصبر على كل ما يصيب الإنسان من الأذى:

الصبر الذي وجهنا إليه نبينا محمد ﷺ حين مر على أصحابه وهم يعذبون في مكة في مواجهة التعذيب، والحصار، والتجويع، وكل ألوان العذاب والأذى فيقول: (صبراً آل ياسر) .

إن الطريق مليء بالمصاعب والآلام، فعلى الإنسان أن يتعامل معه على أساس من الصبر، والتسليم لأمر الله تبارك وتعالى، كما وجه سيدنا موسى ﷺ بني إسرائيل يوم كانوا معه

(١) انظر: التفسير الواضح، (٢/٢٥٣) .

(٢) انظر: فتح القدير، (٤/٤٧) .

مؤمنين، قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

٣- اليقين والثقة بوعده الله:

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

قلت: إذا أردنا الاستخلاف والتمكين فعلينا بالعمل الصالح، والصبر، واليقين بوعده الله، وعندها سنسود الكون كما ينبغي لنا أن نكون نحن أتباع محمد ﷺ الحق بالريادة والسيادة .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

ما هو حالنا مع وعد الله تبارك وتعالى بالاستخلاف والتمكين؟

إن أزمنا هي أزمة ثقة، فريق من الناس خفت الثقة بينهم وبين الله، فريق من الناس انقطعت الثقة بينهم وبين الله، لذلك تعلق الناس بالبشر واستنصروهم، ونسوا رب البشر، نسوا التوكل والاعتماد عليه، لذلك وكلهم الله إلى ما اتكلوا عليه، تركهم إلى ما اعتزوا به فذلوا، أذلهم الله تبارك وتعالى، لذلك أزمنا اليوم هي أزمة الثقة .

حينما نقرأ آيات القرآن، هل نشق بوعده الله ؟

لقد وعدنا الله بالنصر ووعده الله صادق والكذب في أفعالنا .

لو كنا نصدق وعد الله لعملنا على تحقيقه، ولكن نريد أن يتحقق الوعد ونحن نيام، قد أصابنا حب الدنيا وكراهية الموت، ثم بعد هذا نريد العزة، وتطهير المقدرات وحفظ الأعراس !

لن يكون استخلاف ولا تمكين إلا إذا حققنا الشروط عمل صالح، وصبر على الأذى، وثقة بالله .

إنما نتصر عليهم بإيماننا بالله وكفرهم به، فإذا استوينا معهم في المعصية كانت الغلبة لهم علينا بقوتهم .

* قال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ * الَّذِينَ إِذْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١] .

وتخلص الباحثة وبعد تدبر آيات سورة إبراهيم:

١- الاستخلاف والتمكين في الأرض وعد ثابت من الله لمن يحقق شروطه، وهو سنة ماضية في الأولين والآخرين: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

٢- الاستخلاف والتمكين يدوم بشكر المنعم ويزول بكفره: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٦-٧].

ثانياً: تحقيق الأمن:

الأمن لغة: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والمعنى الآخر التصديق والأمن ضد الخوف^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والله تعالى (المؤمن) أعطى عباده الأمان من أن يظلم^(٢).

الأمن اصطلاحاً: الاطمئنان إلى قضية لا تثير مخاوف ولا متاعب^(٣).

الأمن مطلب ضروري، بل أساسي للبشرية جمعاء، سواء على صعيد الفرد، أو الأسرة أو الشعب، والدولة بشكل عام.

لذلك كان أول مطلب لسيدنا إبراهيم ﷺ من ربه أن يمنح هذا البلد الطاهر - مكة -

نعمة الأمن .

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقد استجاب الله ﷻ لدعائه فجعله بلداً آمناً، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

(١) انظر: مقاييس اللغة، (١/١٣٤).

(٢) مجمل اللغة، (١/١٠٢).

(٣) تفسير الشعراوي، (١/٢٩٧).

وبعد أن طلب سيدنا إبراهيم نعمة الأمن في النفس والمال، طلب الأمن في العقيدة فيدعو لنفسه وأهل بأن يجنبهم الله ﷻ عبادة الأصنام ويمن عليهم بنعمة التوحيد؛ لأن هذه النعمة هي الوحيدة والكفيلة أن تصل بالإنسان إلى بر الأمان .

وفي الحديث بين النبي ﷺ أن الإنسان الذي جمعت له الدنيا بحذاقها هو مَنْ جمع الله تعالى الطعام والصحة إليه إلى جانب الأمن، قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه^(١) معافاً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)^(٢) .

ولأن الأمن نعمة خاصة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه، فقد جاءت في سورة إبراهيم بعد ذكر النعم مباشرة، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٤-٣٥] .

جاءت الآية الأولى مجملة لم تعدد المطالب والحاجات التي يسألها الإنسان لخالقه وذلك لكثرتها وتعددتها .

وفي سياق الآية الثانية اختص نعمة الأمن وأفردها دون سائر النعم، ليذكر بها سكان ذلك البلد الذين يكفرون النعمة ولا يشكرونها بعد أن استجاب الله تعالى دعوة أبيهم إبراهيم^(٣) .

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

١- من أعظم أسباب وركائز الأمن هو الإيمان بالله وحده، كما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨١] .

وفي المقابل سلب الله تعالى نعمة الأمن بمن عادى الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] .

(١) سربه: بالكسر أي في نفسه، وبالفتح أي في طريقه .

انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري، (٣٥٦/٢)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد (٥٧٤/٤)، ح (٢٣٤٦)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، انظر: السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها (٤١٠/٥) .

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٠٩/٤) .

٢- الأمن يحقق الرفاهية الاقتصادية وتطور المجتمع، واليوم نرى على سبيل المثال أن الأماكن أو المناطق التي يضطرب فيها الأمن يفر التجار الكبار بأموالهم منها، ولا يستثمرون فيها أموالهم، بينما إذا حدث العكس فإنهم يطمئنون على أموالهم، ويتحركون بأمان، فهذا الازدهار الاقتصادي .

٣- إن تنفيذ الحدود التي شرعها الله على الجناة والمفسدين له أثره الظاهر في استتباب الأمن .

٤- إلغاء نظرية المنهزمون الفائلة: إن تطبيقنا للإسلام سيفقدنا الأمن والأمان، وستحاربنا الدول الكافرة جميعها، وسنخسر صداقتها وودها ودعمها لنا، بل ستقضي علينا وتنزل أمننا واستقرارنا .

نقول لهؤلاء إذا أردنا أن ننعم بالأمن فإن علينا أن نتوب توبة نصوحاً أفراداً وجماعات في مختلف أقطار الأمة، ولنتدبر آيات القرآن لنتروي من بحر الأمان، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] .

ثالثاً: سنة الله في إمهال العصاة والظالمين:

الإمهال لغة: المَهْل والمَهَل والمَهْلَة، كله السكينة والثَّوْدَة والرَّفْق وأمهله أنظره ورفق به ولم يعجل عليه، ومهله تمهילה: أجله، والاستمهال الاستتظار (١) .

والإمهال في كتب التفسير: تأخير العقوبة لذنب قادم وليس ترك العقوبة على الذنب (٢) .

تأتي سورة إبراهيم لتبعث الأمل والطمأنينة إلى قلوب المؤمنين الذين يخشون صولة الكفار ويحذرون اعتداءاتهم التي لا حد لها، وتزيد من ثقتهم بربهم ودينهم فتبين لهم أن الله عَزَّ وَجَلَّ يمهل ولا يهمل وأنه لا يغفل عن الظالمين ... وإليك هذه الآيات:

١- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣] .

٢- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠] .

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

(١) لسان العرب، (١/٦٣٣) .

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، (١٢/٧٣٥٤) .

٤- وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُحْضِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٦-٤٧].

لا يظن الذين كفروا بريهم وناذبوا دينه، وحاربوا رسوله أن ترك الله لهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالهم، خير لأنفسهم ومحبة لله لهم، كلا ليس الأمر كما زعموا، إنما ذلك لشئ يريد به الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليحذر الظالمون من الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه (١).

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم، إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) (٢) قال: ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

١- ليعلم الظلمة الذين يوقعون الظلم بثتى ألوانه على الشباب المسلم، والمجاهدين منهم خاصة، أن لهؤلاء من يسأل عنهم، ويدفع الظلم عنهم، وينتقم لهم، ألم تعلموا أن خالفهم مُطَّلَعٌ وشهيد على ما تفعلونه بهم، وليس بغافل عما توقعون بهم من ظلم، وأنه أقدر عليكم منكم عليهم .

٢- على المسلم ألا تتزعزع ثقته في وعد الله، فإن أبطأ النصر من الله سبحانه فلحكمة مقدره فيها الخير للإيمان وأهله، وحسب المؤمنين الذين تصيبيهم الفتنة ويقع عليهم البلاء أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على الحق وأن يشهد الله بأن في دينهم صلابة، فعن مصعب بن سعد (٣) عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء)، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة (٤).

٣- من باب النصح الواجب علينا نحو من تورط مع الظالمين من قريب أو بعيد وتحذيراً لمن يستدرجهم الشيطان أقول: عُدْ إِلَى اللَّهِ مَا دَمْتَ فِي زَمَنِ الْإِمْهَالِ وَأَقْلِعْ، وَرَدَّ الْمِظَالِمَ لِأَهْلِهَا، وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ قَبْلَ وَضْعِ الْمِيزَانِ وَعَبُورِ الصَّرَاطِ، وَلِنْتَدَبِرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ

(١) انظر: تفسير السعدي، (١/١٥٨)، (١/٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ﴾، ح (٤٦٨٦).

(٣) هو مصعب بن سعد بين أبي وقاص القرشي، روى عن أبيه وأرسل عن عكرمة بن أبي جهل، ومات سنة ثلاث ومائة، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين يوسف المزي، (٢٤/٢٨).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/٣٢٨)، وقال: حديث حسن صحيح .

الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥١-٥٢﴾ .
[إبراهيم: ٥١-٥٢].

رابعاً: نهاية الظالمين:

الظلم ظلمات يوم القيامة، واليوم حينما يلتفت الإنسان يرى صوراً متعددة ومتنوعة من الظلم، وكأنني بالظلم وقد صار علماً تتم فيه البحوث والتخصصات والفنون الحديثة، ويتخرج فيه متخصصون، وعندما نرى أو نسمع عنه نشفق على الظالمين أكثر مما نشفق على المظلومين، فعقاب الظالمين أشد وأبقى - في الدنيا والآخرة - مما يتعرض له المظلومون في الدنيا (١).

وتذكر في سورة إبراهيم نهاية الكفار والظالمين في الدنيا والآخرة، ولكن تعرض السورة لجزئهم في الآخرة بصورة أوسع من عذاب الدنيا .

* قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢].

* وقال تعالى: ﴿... فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

* وقال تعالى: ﴿... إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

* وقال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

* وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

* وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

أولاً: جزاء الظالمين في الدنيا:

وبعد تدبر الآيات الكريمة التي تطرقت إلى جزاء الظالمين، تبين أن هذا الجزاء منه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون في الآخرة .

(١) انظر: من فقه الدعوة، مصطفى مشهور، (٤٢١/١)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

فله ﷻ يقدر الأمور حيث يشاء، فأحياناً يسارع بجزاء الظالمين والطغاة في الدنيا، ليكونوا عبرة لما بين أيديهم وما خلفهم، وقد تمثل جزاء الظالمون في الدنيا في سورة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقد جاء الهلاك لأقوام عدة، وبصور متعددة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩].

ثانياً: جزاء الظالمين يوم القيامة:

بعد هلاك الطغاة في الدنيا، يكون لهم يوم القيامة العذاب الأشد والأبقى، وتعرض سورة إبراهيم لمشاهد عديدة من العذاب، فبعض هذه المشاهد في القبر، وبعضها في المحشر، وأخرى في النار .

١ - عذابهم في القبر:

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال طاووس (١) وقاتادة وجمهور من العلماء: الحياة الدنيا هي مدة حياة الإنسان، وفي الآخرة وقت سؤاله في قبره (٢) .

عن البراء بن عازب ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٣) [إبراهيم: ٢٧].

٢ - حال الظالمين يوم الحشر:

بعد أن يمكث هؤلاء الطغاة الظلمة في قبورهم مدة لا يعلمها إلا الله، يخرجوا للوقوف بين يدي الله، ففي هذا اليوم العظيم ترسم آيات سورة إبراهيم حالهم.

(١) طاووس: ابن كيسان اليماني أبو عبد الله الحميري مولاهم الفارسي، يقال اسمه ذكوان، وطاووس لقب، ثقة فقيه فاضل من الثالثة، مات سنة ست ومائة، وقيل بعد ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، (٣٩٨/١٧)، دار الحديث، ط ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، (٣٨١/٣)، المحقق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (٨٠/٦)، ح (٤٦٩٩) .

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رِعْوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

يخرج الظلمة من قلوبهم وقد شخصت أبصارهم، وهي تتحرك بدون إرادة، والقلوب فارغة لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه، وذلك كله من شدة الخوف والوجل من هذا الموقف العصيب (١).

٣- دخول الظالمين النار وحالهم فيها:

ثم بعد ذلك تبين لنا الآيات الكريمة مصيرهم الأخير، أذكر بعضها تجنب الإطالة:

* قال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧].

* وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمُ يَصْלוُنَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩].

والمشهد هنا عجيب، إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد، ومصيره المروع الفظيع وهو يسقى من الصديد السائل، يسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه، لفظارته ومرارته، ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان، ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه (٢).

هذه صورة متكاملة للطغاة والظلمة من الهلاك والدمار في الدنيا، إلى بداية الموت، ثم الحشر، ثم الخلود في النار.

منهج الإصلاح والتغيير في الآيات السابقة:

ألا ما أتعس الظالمين وما أشقاهم في دنياهم وفي أخراهم، إنهم ظلموا أنفسهم بأشد مما ظلموا به غيرهم لأن عذاب الآخرة أشد وأبقى.

لا يشغلك حال الظالمين ومصيرهم، واترك أمرهم الله الحكم العدل وتدبر قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِ الرَّصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

ولا يدفعك غيظك من الظالمين إلى تكفير أو لعن أحد منهم بذاته - فقد لا يكون أهلاً للكفر أو للعن فنبوء أنت بذلك - ولكن إن كان ولا بد فبالتعظيم كأن تقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وأكثر من الدعوات فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٥٤٢/٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٩٣/٤).

اعلم أن دوام الحال من المحال، وأن المستقبل لهذا الدين، وسيتحقق للمؤمنين وعد الله بالسيادة والتمكين في الدنيا، والنعيم الخالد والنجاة من النار في الآخرة .

وفي عصرنا نرى نهاية الظالمين من حكام العرب الطغاة في تونس ومصر وليبيا، وما زالت الأنظار تتجه إلى باقي ديار المسلمين ليحكم بها بما أنزل الله ﷻ، ويطبق فيها شرع الله ﷻ وليست الأنظمة الوضعية الظالمة .

والأمل كبير أن ينتهي الظلم ومعه الظالمون حينئذ يقال:

* قوله تعالى: ﴿ فَتَقْطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥] .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على نعمة القرآن، المنهج القويم الذي أنزله الله ﷻ للأنام، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، والحمد لله الذي تتم به الصالحات، حمد الصابرين الشاكرين، والحمد لله على النعم جميعاً التي لا تعد ولا تحصى، حمداً يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه، والحمد لله الذي وفقني لكتابة هذه الرسالة، راجية من ﷻ أن تليق بمستوى العلوم التي تتعلق بكلام الله ﷻ القرآن الكريم، والصلاة والسلام على رسول الأنام، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، أما بعد:

شاء الله ﷻ أن تكون هذه الدراسة عن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الرد وإبراهيم، واجتهدت ما في وسعي لاستنباط بعض المنهجيات فما أصبت به فمن الله ﷻ فضلاً ومنةً وكرماً وإحساناً، وما أخطأت به فمن نفسي والشيطان، وأرجو من الله المغفرة والإحسان، وإني توصلت في هذا البحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

١- رسالة السماء ودعوة الأنبياء هي الإصلاح والتغيير، فالهدف من بعث جميع الرسل هو إنقاذ الناس من الضلال، وهدايتهم لعبادة الله وحده لا شريك له، ولن تستقيم أحوالهم إلا بتطبيق شرع الله الذي هو رسالة الإصلاح الأولى .

٢- للإصلاح مكانة عالية، وأثارٌ عظيمة وكثيرة تنعكس على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

٣- إن العقيدة ما إن تتمكن من قلب إنسان، حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى والرجاء منه وحده .

٤- تغيير ما بنفس الإنسان ليس بالأمر الهين السهل كما يتصور بعض الناس، فليس بمجرد الوعظ والإرشاد يتغير الإنسان، أو بالأوامر العسكرية، إنما يتغير الإنسان من داخل نفسه، بتغيير أهدافه، ومثله، ومعتقداته، ومفاهيمه، بإضاءة عقله وتركيزه نفسه، وتهذيب سلوكه، ورجوعه إلى الله .

٥- التفكير في آيات الله الكونية ومخلوقاته العظيمة من سماء وأرض، وليل ونهار، وجبال وأشجار، وغير ذلك مما لا يحصى مما خلق الباري ﷻ يفجر في قلب العبد ينابيع الإيمان، وتعظيم الله وإجلاله وينبئه إلى كثرة نعمه وآلائه .

٦- الجمع بين الترغيب والترهيب مراعاة لتوازن النفس عند الإنسان فهو في بعض الحالات أشد استجابة لدواعي المصلحة فينبهه الترغيب، وفي حالات أخرى يكون أشد انسياقاً وراء الهوى والشهوات فلا ينفعه إلا الترهب .

٧- تعد الأمثال من أجدى أساليب القرآن في عرض موضوعاته، فعلى الدعاة أن يستعينوا بها في كل عصر لنصرة الحق، وإقامة الحجة، وكذلك يستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ووسائل التربية .

٨- الصراع بين الحق والباطل، سيظل قائماً ما بقيت السماوات والأرض، لا تهدأ معاركه، ولا تخبو جذوته، لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته، فإن العاقبة ستكون بإذن الله دائماً لأولياء الله المتقين ودعاته المخلصين الذين يستمدون قوتهم من قوة الله، ويأخذون أدلتهم من كتاب الله وسنة رسوله.

٩- النعم تزيد بالشكر، وتنقص بالجحود والنكران، ومن علامات شكر النعمة استعمالها في طاعة الله ﷻ وعدم الاستعانة بها على شيء من معاصيه .

١٠- إن الإصلاح والتغيير في حاجة إلى صبر وعزيمة وتضحية وتخلي عن الرغبات الشخصية والفردية، وعلو مصلحة الجماعة .

١١- العبادات والطاعات تمد الإنسان بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي .

١٢- الاستخلاف والتمكين في الأرض وعد ثابت من الله لمن يحقق شروطه، وهو سنة ماضية في الأولين والآخرين .

دوام الحال من المحال، والمستقبل لهذا الدين .

ثانياً: التوصيات:

- ١- بداية أوصي نفسي وكل السالكين في هذا الدرب، أن يجعلوا تقوى الله تعالى نصب أعينهم في كل عمل يقدمون عليه، وخاصة عند أي عمل يتناول كتاب الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥] .
- ٢- الاهتمام بالتفسير الموضوعي لكتاب الله ﷺ حيث إن هذا العلم باب جديد يحتاج إلى مزيد من التطوير والبحث والتنقيب .
- ٣- الإقبال على طلب العلوم الشرعية، والسعي في نشرها، فهي أنفع العلوم في الدنيا والآخرة .
- ٤- توصية للدعاة والعلماء للقيام بواجباتهم الدعوية والتربوية .
- ٥- إن الأمة الإسلامية محتاجة لتجديد ثقافتها بربها، وتحسين علاقتها معه، وذلك من خلال العودة لكتاب الله ﷺ وفهمه وتطبيق أحكامه، والتمسك بسنة نبيه محمد ﷺ، وعندها يأتي النصر بإذن الله تعالى .

الفهارس

وتشتمل على:

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- ثالثاً: فهرس الأعلام .
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع .
- خامساً: فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٧٥
٢-	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ﴾	٧	٧٥-١٥
سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣-	﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فُهُم لَا يَرِجَعُونَ ﴾	١٨	٧٠
٤-	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ... ﴾	١٩	٧٠
٥-	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴾	٤٥	١١٢
٦-	﴿ ... وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٥١
٧-	﴿ ... لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ... ﴾	٦٨	٧٠
٨-	﴿ ... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا... ﴾	٨٣	١٠٩
٩-	﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	١٥٢	٥٤
١٠-	﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشْيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ... ﴾	١٥٥	١٢٢
١١-	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ ﴾	١٥٦	١٢٢
١٢-	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ... ﴾	١٥٧	١٢٢
١٣-	﴿ إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا... ﴾	١٦٦	١٠٧
١٤-	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا... ﴾	١٦٧	١٠٧
١٥-	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي... ﴾	١٨٦	١١٩

١٧	٢١٤	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ... ﴾	- ١٦
٣٧	٢١٦	﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ... ﴾	- ١٧
٣٩	٢١٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾	- ١٨
١٢١	٢٥٠	﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ ... ﴾	- ١٩
١١٣	٢٥٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا ... ﴾	- ٢٠
١١٣-٧٠	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ... ﴾	- ٢١
٧٠	٢٦٤	﴿ ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾	- ٢٢
٦٥	٢٧٥	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ... ﴾	- ٢٣
آل عمران			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٥	٨٥	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾	- ٢٤
١٢٨	٩٦	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ... ﴾	- ٢٥
١٢٨	٩٧	﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ ... ﴾	- ٢٦
١١٨	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ... ﴾	- ٢٧
٤٧	١٣٧	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ... ﴾	- ٢٨
٤٧	١٣٨	﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	- ٢٩
٦٨	١٤٤	﴿ ... وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾	- ٣٠
٥	١٥٩	﴿ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴾	- ٣١
٤٨	١٦٥	﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ... ﴾	- ٣٢
٣٨	١٧٥	﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ... ﴾	- ٣٣
٥٩-٥٤	١٩٠	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	- ٣٤

٥٩-٥٤	١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا...﴾	-٣٥
سورة النساء			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٣	٦٩	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾	-٣٦
١١٤	٨١	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ...﴾	-٣٧
٩٧	١٤٧	﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ...﴾	-٣٨
٨٧	١٦٦	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ...﴾	-٣٩
سورة المائدة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣	٤٨	﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾	-٤٠
سورة الأنعام			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٣٥	٤٥	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ...﴾	-٤١
٩٧	٥٣	﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾	-٤٢
٢٩	٨٠	﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي...﴾	-٤٣
١٢٩	٨١	﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ...﴾	-٤٤
سورة الأعراف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٧	١٧	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾	-٤٥
٩١	٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ...﴾	-٤٦
٤٨	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا...﴾	-٤٧

٧٨	١١٨	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	-٤٨
١٢٥	١٢٨	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا... ﴾	-٤٩
٧٢	١٣٧	﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا... ﴾	-٥٠
٧١	١٧٥	﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا... ﴾	-٥١
٧١	١٧٦	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ... ﴾	-٥٢
٥٨	١٧٩	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا... ﴾	-٥٣
٩١	١٨٠	﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا... ﴾	-٥٤
١٢٠-٧٨	١٩٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ... ﴾	-٥٥
١٢	١٩٦	﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ... ﴾	-٥٦
١١٩	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ... ﴾	-٥٧
سورة الأنفال			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٤	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ... ﴾	-٥٨
٣٤	١٢	﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ... ﴾	-٥٩
٥٤-٥٣	٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً... ﴾	-٦٠
١١٥	٤٩	﴿ ... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	-٦١
٤٨-١٥	٥٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا... ﴾	-٦٢
١١٤	٦١	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... ﴾	-٦٣
سورة التوبة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٥٥	٤٠	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ... ﴾	-٦٤

١١٤	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا... ﴾	-٦٥
٤٣	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾	-٦٦
سورة يونس			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٧٣	٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... ﴾	-٦٧
٥٩	٢٤	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾	-٦٨
٧	٧١	﴿ ... فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ... ﴾	-٦٩
١٨	٩٠	﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ... ﴾	-٧٠
١٢٠	١٠٦	﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾	-٧١
١٢٠	١٠٧	﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ... ﴾	-٧٢
سورة هود			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٦	١	﴿ الرِّيبَاتُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ... ﴾	-٧٣
٧٠	٨١	﴿ ... أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾	-٧٤
١١٣	١٢٣	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾	-٧٥
سورة يوسف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٥	٣٩	﴿ ... أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾	-٧٦
٢٥	١٠٥	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾	-٧٧
٢٦	١١١	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ... ﴾	-٧٨

سورة الرعد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٩-	﴿ الْمُرْتَلِكُ آيَاتُ الْكِتَابِ ... ﴾	١	٥٦-٢٩-٢٦
٨٠-	﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ... ﴾	٢	٥٦-٢٩
٨١-	﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ... ﴾	٣	٥٦-٢٩-٢٥ ٦٤-
٨٢-	﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ... ﴾	٤	٦٤-٥٧-٢٩
٨٣-	﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... ﴾	٥	٦١
٨٤-	﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ... ﴾	٦	-٦٢-٦١-٣٩ ٦٤
٨٥-	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ ... ﴾	٧	٧٣
٨٦-	﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ... ﴾	٨	٦٤-٣٥
٨٧-	﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾	٩	٦٤-٣٥
٨٨-	﴿ سِوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ... ﴾	١٠	٦٤-٣٥
٨٩-	﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ... ﴾	١١	-٤٨-٣٥-٣٢ ٦٥-٦٤-٥٠
٩٠-	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ... ﴾	١٢	٢٤-٢٣-١٢ ٦٥-
٩١-	﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ ... ﴾	١٣	٦٥-٢٤-٢٣
٩٢-	﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ... ﴾	١٤	٧٦-٦٩-٦٥
٩٣-	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	١٥	٦٥

٧٦-٦٥	١٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾	-٩٤
٧٦-٦٩-٦٥	١٧	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾	-٩٥
٦٨-٦٦-٦١	١٨	﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى... ﴾	-٩٦
٤٢	١٩	﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ... ﴾	-٩٧
٦٦-٤٢	٢٠	﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾	-٩٨
٤٢	٢١	﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ... ﴾	-٩٩
٦٦	٢٢	﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ... ﴾	-١٠٠
٦١-٤٤	٢٣	﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... ﴾	-١٠١
٦٦-٦١	٢٤	﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾	-١٠٢
٦٦-٦١-٤٥	٢٥	﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ... ﴾	-١٠٣
٦٧-٦٦-٤٥	٢٦	﴿ اللَّهُ يُسِطُّ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ... ﴾	-١٠٤
٧٣-٦٧	٢٧	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ... ﴾	-١٠٥
٥١	٢٨	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ... ﴾	-١٠٦
٦١-٤٤	٢٩	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى... ﴾	-١٠٧
٧٤	٣١	﴿ وَلَوْ أَن فُرْنَا سِيرَتِ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾	-١٠٨
٦١	٣٢	﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾	-١٠٩
٧٤-٦٧-٤٦	٣٣	﴿ ... وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	-١١٠
٦١-٤٦	٣٤	﴿ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ... ﴾	-١١١
٦٧-٦٢-٤٤	٣٥	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ... ﴾	-١١٢
٦٨-			
٦٧	٣٩	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	-١١٣

٦٦-٢٦	٤٢	﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾	- ١١٤
٢٦-٢٣	٤٣	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا... ﴾	- ١١٥
سورة إبراهيم			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
-٨٤-٢٦-١٩ ٩٦-٩١-٨٧	١	﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ... ﴾	- ١١٦
٨٩-٢٦-١٣٢	٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ... ﴾	- ١١٧
٢٦	٣	﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... ﴾	- ١١٨
٩١-١٧	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ... ﴾	- ١١٩
١٠٢-٩٦	٥	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا... ﴾	- ١٢٠
-١٠٢-٩٦ ١٢٧-١١٦	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا... ﴾	- ١٢١
-١١٦-٩٩ ١٢٧	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... ﴾	- ١٢٢
١١٦-٩٢	٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ... ﴾	- ١٢٣
-١١٧-١٠١ ١٣٢-١٢٢	٩	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ... ﴾	- ١٢٤
-١٠١-٨٩ ١١٧	١٠	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ... ﴾	- ١٢٥
١١٧-١٠١	١١	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ... ﴾	- ١٢٦
١١٧-١٠١	١٢	﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ... ﴾	- ١٢٧

- ١٢٤-١٠١	١٣	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ... ﴾	- ١٢٨
- ١٢٢-١١٧			
١٣٠			
١١٧-١٢٤	١٤	﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ... ﴾	- ١٢٩
١١٧-١٠١	١٥	﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	- ١٣٠
- ١٣٤-١٠١	١٦	﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾	- ١٣١
١١٧			
- ١٠١-١١٧	١٧	﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ... ﴾	- ١٣٢
١٣٤			
٩٣	١٨	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ... ﴾	- ١٣٣
٨٩	١٩	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... ﴾	- ١٣٤
٨٩	٢٠	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾	- ١٣٥
١٠٦-١٠٥	٢١	﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ... ﴾	- ١٣٦
- ٨٧-٢٢	٢٢	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ... ﴾	- ١٣٧
- ١٣٢-١٠٢			
١٠٤			
-	٢٣	﴿ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... ﴾	- ١٣٨
١٠٨-٦٨	٢٤	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... ﴾	- ١٣٩
١٠٨	٢٥	﴿ تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا... ﴾	- ١٤٠
١٠٨	٢٦	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ... ﴾	- ١٤١
- ١٣٢-١٠٨	٢٧	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ... ﴾	- ١٤٢
١٣٣			

٩٦	٢٨	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا... ﴾	- ١٤٣
- ٩٦-٨٣ ١٣٤-١٣٢	٢٩	﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴾	- ١٤٤
١٣٠-٨٣	٣٠	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ... ﴾	- ١٤٥
١١٣	٣١	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	- ١٤٦
١٠٢-٩٦-٨٩	٣٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... ﴾	- ١٤٧
٨٩	٣٣	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ... ﴾	- ١٤٨
١٢٨-٩٦-٨٩	٣٤	﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ... ﴾	- ١٤٩
- ١١٨-٨٤ - ١٢٧-١١٩ ١٢٨	٣٥	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا... ﴾	- ١٥٠
- ١١٨-٩٢ ١١٩	٣٦	﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ... ﴾	- ١٥١
١١٩-١١٢	٣٧	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي... ﴾	- ١٥٢
١١٩-٩٧-٨٩	٣٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي... ﴾	- ١٥٣
١١٩-٩٧	٣٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ... ﴾	- ١٥٤
١١٩	٤٠	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ... ﴾	- ١٥٥
١١٩	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ... ﴾	- ١٥٦
- ١٣٢-١٣٠ ١٣٣	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ... ﴾	- ١٥٧
١٣٢	٤٣	﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ... ﴾	- ١٥٨
١٣٠	٤٦	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ... ﴾	- ١٥٩

١٣٠-٩٢-٤٧	٤٧	﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ ... ﴾	- ١٦٠
١٠٢-٩٢-٨٥	٤٨	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ... ﴾	- ١٦١
-١٠٢-٨٥ ١٣٢	٤٩	﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ ... ﴾	- ١٦٢
-١٠٢-٨٥ ١٣٢	٥٠	﴿ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَى ... ﴾	- ١٦٣
-١٠٢-٩٢ ١٣١	٥١	﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ... ﴾	- ١٦٤
١٣١-٨٥-٨٤	٥٢	﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ... ﴾	- ١٦٥
سورة الحجر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٨٥	٢	﴿ رَبُّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾	- ١٦٦
٣٩	٤٩	﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	- ١٦٧
٣٩	٥٠	﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾	- ١٦٨
سورة النحل			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣٠	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ... ﴾	- ١٦٩
٥٩-٧	٤٤	﴿ ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ... ﴾	- ١٧٠
٥٧	٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ... ﴾	- ١٧١
٥٧	٦٧	﴿ وَمِنْ نَمْرَاتٍ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ... ﴾	- ١٧٢
١١	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ... ﴾	- ١٧٣
١٠٣	٩٩	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾	- ١٧٤

١٠٣	١٠٠	﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ... ﴾	- ١٧٥
١٢٩	١١٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ... ﴾	- ١٧٦
٩٧	١٢٠	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ... ﴾	- ١٧٧
٩٧	١٢٢	﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ ... ﴾	- ١٧٨
١٠٩-١٠٠	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ... ﴾	- ١٧٩

سورة الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٧	٣	﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	- ١٨٠
١٢٥	٥	﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ... ﴾	- ١٨١
١٧	١٥	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ... ﴾	- ١٨٢
١١	١٩	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ... ﴾	- ١٨٣
٧٠	٢٩	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً ... ﴾	- ١٨٤
٩٠	٤٤	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ... ﴾	- ١٨٥
١٠٩	٥٣	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾	- ١٨٦
٧٨	٨١	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ... ﴾	- ١٨٧

سورة الكهف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١	٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	- ١٨٨
١٢	٨٢	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ ... ﴾	- ١٨٩
٤٤	١٠٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	- ١٩٠

سورة طه			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩١-	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا... ﴾	١٤	٥٨-٥٤
١٩٢-	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا... ﴾	٧٢	٣١
١٩٣-	﴿ إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا... ﴾	٧٣	٣١
١٩٤-	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ... ﴾	١١٠	-
١٩٥-	﴿ ... فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾	١٢٣	٨٨
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦-	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	٢٠	٣٣
١٩٧-	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا... ﴾	٧٣	٧٢
١٩٨-	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ... ﴾	١٠٥	١٢٥
سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٩-	﴿ ... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ... ﴾	٤٠	١٢٧
٢٠٠-	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾	٤١	١٢٧
٢٠١-	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ... ﴾	٥٢	٥٢
٢٠٢-	﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ... ﴾	٥٣	٥٢
٢٠٣-	﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ... ﴾	٥٤	٥٢
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٤-	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا... ﴾	٧٦	١٢٠

سورة النور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٥-	﴿... وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾	٣٣	١١٣
٢٠٦-	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ...﴾	٣٩	٩٤
٢٠٧-	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ...﴾	٤٥	٥٩
٢٠٨-	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ...﴾	٥٥	١٨-٣٨ ١٢٥-١٢٩
سورة الفرقان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٩-	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ...﴾	٢٣	٩٤-٩٥
٢١٠-	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ...﴾	٥٨	١١٤
سورة الشعراء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١١-	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾	٨٨	٥٢
٢١٢-	﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٥٢
٢١٣-	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾	٢١٧	١١٤
٢١٤-	﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٨	١١٤
٢١٥-	﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾	٢١٩	١١٤
٢١٦-	﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٢٢٠	١١٤
سورة النمل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٧-	﴿... وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...﴾	٤٠	٩٨

١١٤	٧٩	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	-٢١٨
سورة القصص			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٥	٥	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ... ﴾	-٢١٩
١٢٥	٦	﴿ وَنُمْكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي... ﴾	-٢٢٠
٧٣	٥٦	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ... ﴾	-٢٢١
٧٧	٣٨	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ... ﴾	-٢٢٢
١٠٠	٥٨	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ... ﴾	-٢٢٣
سورة العنكبوت			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٢	٣	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾	-٢٢٤
٧١	٤٣	﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ... ﴾	-٢٢٥
٥٤	٤٥	﴿ أَنْتَلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ... ﴾	-٢٢٦
١٢٨	٦٧	﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا... ﴾	-٢٢٧
٧٥	٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا... ﴾	-٢٢٨
سورة الروم			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٥٩	٩	﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا... ﴾	-٢٢٩
سورة لقمان			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٣	١٧	﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ... ﴾	-٢٣٠

٣٧	٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾	- ٢٣١
سورة السجدة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٤١	١٦	﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... ﴾	- ٢٣٢
٧٤	١٨	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾	- ٢٣٣
١٢٦	٢٤	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً ... ﴾	- ٢٣٤
سورة الأحزاب			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٤	٣	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	- ٢٣٥
٥٣	٣٥	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾	- ٢٣٦
٦٣	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ ... ﴾	- ٢٣٧
٥٣	٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	- ٢٣٨
٥٣	٤٢	﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	- ٢٣٩
١١٤	٤٨	﴿ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ... ﴾	- ٢٤٠
٤٧	٦٢	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا ... ﴾	- ٢٤١
١٠٨	٦٧	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا ... ﴾	- ٢٤٢
١٠٨	٦٨	﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ... ﴾	- ٢٤٣
سورة سبأ			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٨	١٣	﴿ ... وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾	- ٢٤٤
٤٨	١٥	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ ... ﴾	- ٢٤٥

٤٨	١٦	﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا ... ﴾	-٢٤٦
٤٨	١٧	﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ... ﴾	-٢٤٧
١٠٤	٢٠	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ ... ﴾	-٢٤٨
سورة فاطر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٤	٦	﴿ ... إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾	-٢٤٩
٤٧	٤٣	﴿ ... وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾	-٢٥٠
سورة الصافات			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٧٣	٢٢	﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَوْرَاجَهُمْ ... ﴾	-٢٥١
٧٣	٢٣	﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾	-٢٥٢
١٢٥	١٧١	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾	-٢٥٣
١٢٥	١٧٢	﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصِرُونَ ﴾	-٢٥٤
١٢٥	١٧٣	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	-٢٥٥
سورة ص			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٣	٨٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	-٢٥٦
١٠٣	٨٣	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	-٢٥٧
سورة الزمر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٣	١٧	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾	-٢٥٨
١٠٣	١٨	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ... ﴾	-٢٥٩

٤١	٥٣	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا... ﴾	- ٢٦٠
سورة غافر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٩	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾	- ٢٦١
سورة فصلت			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٧٣	١٧	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا... ﴾	- ٢٦٢
٦	٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ... ﴾	- ٢٦٣
سورة الشورى			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩١	١١	﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	- ٢٦٤
٥	٣٨	﴿ ... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	- ٢٦٥
سورة الزخرف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣٢	١٩	﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ... ﴾	- ٢٦٦
١٦	٣٦	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ... ﴾	- ٢٦٧
١٦	٣٧	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ... ﴾	- ٢٦٨
٦٨	٥٥	﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾	- ٢٦٩
٦٨	٥٦	﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلآخِرِينَ ﴾	- ٢٧٠
سورة الأحقاف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٥٨	٢٦	﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ... ﴾	- ٢٧١

سورة محمد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٢-	﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى... ﴾	١٧	٩٢-٧٥-١٨
٢٧٣-	﴿ ... وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ... ﴾	٣٨	١٦
سورة الفتح			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٤-	﴿ ... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ... ﴾	٢٩	٦٨
سورة الحجرات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٥-	﴿ ... وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا... ﴾	١٢	٧١
سورة ق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٦-	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	١٨	١١٠
سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٧-	﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾	٤٣	٤٨
٢٧٨-	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٣٥
٢٧٩-	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾	٥١	٤٨
سورة الرحمن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٠-	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾	٦٠	٧٠

سورة المجادلة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨١-	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٢١	١٢٦
سورة الحشر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٢-	﴿ ... فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾	٢	٥٧
٢٨٣-	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ... ﴾	١٩	٥٣
سورة الصف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٤-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ... ﴾	٢	١١٠
٢٨٥-	﴿ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ... ﴾	٣	١١٠
٢٨٦-	﴿ ... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ... ﴾	٥	٧٥-٤٨
سورة الجمعة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٧-	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا ... ﴾	١٠	٥٤
سورة المنافقون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٨-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ ... ﴾	٩	٥٤
سورة التغابن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٩-	﴿ ... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ... ﴾	١١	٧٣

سورة التحريم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٠-	﴿... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ...﴾	٦	٣٣
٢٩١-	﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾	١١	٣١
سورة الملك			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٢-	﴿... كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا...﴾	٨	١٦
٢٩٣-	﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا...﴾	٩	١٦
سورة القلم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٤-	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٤٣
سورة المدثر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٥-	﴿... وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾	٣١	٦٩
سورة الانفطار			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٦-	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾	١٠	٣٣
٢٩٧-	﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾	١١	٣٣
٢٩٨-	﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٢	٣٣
سورة الليل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٩-	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾	٥	٧٤

٧٤	٦	﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾	-٣٠٠
٧٤	٧	﴿ فَسَيَّرَهُ لِلْإِسْرَى ﴾	-٣٠١
٧٤	٨	﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾	-٣٠٢
٧٤	٩	﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾	-٣٠٣
٧٤	١٠	﴿ فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى ﴾	-٣٠٤
سورة الفجر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٣٤	١٤	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾	-٣٠٥

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	الصفحة
١-	أتدرون من المفلس قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع	٤٤
٢-	أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا: لا وهي تقدر	١٠٢
٣-	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	١١٠
٤-	إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي	١٠٥
٥-	أرحنا بها	١١٢
٦-	ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله	٥١
٧-	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار	١١١
٨-	إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	١١٩
٩-	إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم إن الله ليملي للظالم	١٣٠
١٠-	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين	٨٨
١١-	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام	١٠١
١٢-	إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة	١١٩
١٣-	أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنه معي إذا دعاني	١٢١
١٤-	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى	١٨
١٥-	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٤٢
١٦-	أول من بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي	٥٧
١٧-	بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	١١٢
١٨-	تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً	٥٣
١٩-	خط النبي خطاً مربعاً وخط خطأً في الوسط من جانبه الذي	١٠٢
٢٠-	سألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن	٤٤

م	الحديث	الصفحة
٢١-	سيأتي على الناس سنوات خداعات	١٦
٢٢-	فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	٤٤
٢٣-	قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	١٣١
٢٤-	قلت: يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية	٩٤
٢٥-	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه	٩٨
٢٦-	كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته	١٠٧
٢٧-	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه	٤٠
٢٨-	لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع	٤٦
٢٩-	لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن	٨٨
٣٠-	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٣٧
٣١-	ما من مسلم يصيبه أذى أو مرض مما سواه إلا حط الله له	١٢٣
٣٢-	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت	٥٦
٣٣-	مثل المدخن في حدود الله والواقع فيها	٦٩
٣٤-	المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله	١٣٣
٣٥-	الملائكة يتعاقبون بالليل وملائكة بالنهار	٣٤
٣٦-	من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسده	١٢٨
٣٧-	من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية	٤١
٣٨-	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	١٢
٣٩-	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت	١١١
٤٠-	والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحكم حبله فيحتطب على ظهره	١٨
٤١-	والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً	١٠٤
٤٢-	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً	٧٥

الصفحة	الحديث	م
٣٦	يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك	-٤٣
١٨	يأخذ الله عز وجل سماواته وأراضيه بيديه فيقول: أنا الله	-٤٤
٣٦	يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين	-٤٥
٤٩	يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها	-٤٦

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١-	إبراهيم بن أدهم: إبراهيم بن منصور بن يزيد العجلي، يكنى أبا إسحاق	٥٥
٢-	ابن جريج: عبدالملك بن عبد العزيز ابن جريج الأموي	٢٣
٣-	أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسين القريني الكفوي	١٠
٤-	ربيع بن عامر	٣٨
٥-	طاووس: ابن كيسان اليماني أبو عبد الله الحميري	١٣٣
٦-	علي بن أبي طلحة: سالم مولى العباس عبد المطلب	٢٢
٧-	قتادة: قتادة بن دعامة السدوسي وكان يكنى أبا الخطاب	٢٢
٨-	مجاهد: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي	٢٢
٩-	مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي	١٣١

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

- ١- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبدالرحمن الجربوع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- ٢- أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد الحراشي، دار الكتاب الحديث، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- ٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت .
- ٤- الأدب المفرد، للألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٥- أركان الإيمان، وهبي سليمان الألباني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ٦- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- ٧- أسس الدعوة وآداب الزكاة، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٨- أشراف الساعة، عبد الله بن سليمان الفضيلي، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
- ٩- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
- ١٠- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
- ١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- ١٢- أضواء على أوضاعنا السياسية، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ١٣- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارض، الرياض، المملكة العربية السعودية .

- ١٤- انظر: الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، حقق أصوله طه عبد الرؤوف سعيد.
- ١٥- إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ١٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م .
- ١٧- الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .
- ١٨- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- ١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .
- ٢٠- تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
- ٢١- التبصرة، جمال الدين الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٢٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع .
- ٢٣- تذكرة الدعاة، البهي الخولي، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٩٦٩م .
- ٢٤- تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة والثلاثون ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- ٢٥- تركية النفوس، أحمد مزيد، دار العقيدة للتراث، الاسكندرية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٢٦- تصويبات في فهم الآيات، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ٢٧- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- ٢٨- تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، المحقق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
- ٢٩- تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، الطبعة السابعة.

- ٣٠- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٣١- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- ٣٢- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء ٢٠ .
- ٣٣- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ٣٤- تفسير القرآن الكريم، تفسير المنار، المؤلف محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م .
- ٣٥- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة .
- ٣٦- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ-١٣٤٦م .
- ٣٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .
- ٣٨- التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ .
- ٣٩- تقريب التدمرية، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
- ٤٠- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٤١- تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ٤٢- التوحيد، عبد المجيد الزنداني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ٤٣- تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

- ٤٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
- ٤٥- جهود الشيخ محمد الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز بن صالح الفوزان، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
- ٤٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، المحقق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
- ٤٧- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- ٤٨- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، عبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- ٤٩- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ٥٠- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- ٥١- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى .
- ٥٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٥٣- دراسات في السنة النبوية، محمد ضياء الأعظمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٥٤- دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ٥٥- دروس في التفسير، تفسير سورة الرعد، د. يوسف القرضاوي، دار البشير، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .
- ٥٦- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، أ. صادق أمين .

- ٥٧- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسيني المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
- ٥٨- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، مكتبة السنة .
- ٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٠- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- ٦١- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ٦٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى .
- ٦٣- سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، د. صلاح الدين سلطان، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
- ٦٤- شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- ٦٥- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني .
- ٦٦- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين دمشقي، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
- ٦٧- شريعة الإسلام خلودها وصلاحتها للتطبيق في كل زمان ومكان، يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية .
- ٦٨- شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، مكتبة دار التراث .
- ٦٩- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ٧٠- صحيح البخاري، تأليف عبد الله بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

- ٧١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٧٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- ٧٣- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٧٤- عالم الجن والشياطين، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- ٧٥- عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٧٦- عمدة القاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٧٧- فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، أشرف علي جمعة وطبعه محمد بن سعد الشويخ .
- ٧٨- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- ٧٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه سيد إبراهيم، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
- ٨٠- في الطريق إلى الله (التوكل)، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
- ٨١- في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ١٩٨٧م .
- ٨٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ.
- ٨٣- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
- ٨٤- الكلمة الطيبة وأثرها في النفوس، أحمد عمر النعمة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ٨٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٠٩٤هـ-١٦٨٣م .
- ٨٦- لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري .

- ٨٧- لمعة الاعتقاد، موفق الدين المقدسي، شرح محمد بن صالح العثيمين، حققه: أبو محمد عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- ٨٨- مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- ٨٩- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والثلاثون ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- ٩٠- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٩١- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
- ٩٢- المحاضرات السنوية في شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرح محمد الصالح العثيمين، مكتبة طبرية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٩٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
- ٩٤- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٩٥- المدخل إلى الفقه الإسلامي، د. عبدالعزيز الخياط، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- ٩٦- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب.
- ٩٧- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ٩٨- مدخل لمعرفة الإسلام مقوماته ... خصائصه ... أهدافه ... مصادره، يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- ٩٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

- ١٠٠- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ١٠١- معالم في الطريق، سيد قطب، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .
- ١٠٢- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى الزيات، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة، الطبعة الثانية .
- ١٠٣- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- ١٠٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
- ١٠٥- من فقه الدعوة، مصطفى مشهور، دار التوزيع للتوزيع والنشر الإعلامية ١٤٢٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٠٦- المنطلق، محمد أحمد الراشد، دبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- ١٠٧- منهج البحث العلمي عند العرب، جلال عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .
- ١٠٨- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة ١٩٨١م .
- ١٠٩- منهج التغيير الإسلامي، دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز، نافذ سليمان الجعب ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- ١١٠- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. محمود بن أحمد بن فرج الزحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .
- ١١١- منهج القرآن في القضاء والقدر، محمود محمد غريب، دار القلم للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ١١٢- موارد الظمان لدروس الزمان، عبد العزيز السلطان، الطبعة الثلاثون ١٤٢٤هـ .
- ١١٣- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، الكويت .
- ١١٤- الميسر في أصول الفقه الإسلامي، إبراهيم محمد سلقين، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

- ١١٥- نحو تربية إسلامية، حسن الشرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣م .
- ١١٦- نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن، محمد مصطفى، نابلس، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- ١١٧- النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- ١١٨- واقعا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ١١٩- الوجيز في أصول الفقه، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	المقدمة
ج	أهمية البحث
د	أسباب اختيار البحث
د	أهداف الدراسة وغايتها
د	الدراسات السابقة
د	منهج الباحثة
هـ	خطة البحث
١	التمهيد
٢	المبحث الأول: المقصود بالمنهج
٣	المطلب الأول: المنهج لغة
٤	المطلب الثاني: المنهج اصطلاحاً
٤	المطلب الثالث: المنهج الإسلامي بين الثبات والمرونة
٦	المطلب الرابع: مصادر المنهج الإسلامي
٦	أولاً: القرآن الكريم
٦	ثانياً: السنة النبوية
٧	ثالثاً: الإجماع
٧	رابعاً: القياس
٨	المبحث الثاني: المقصود بالإصلاح

٩	المطلب الأول: الإصلاح لغة
٩	المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحاً
١٠	المطلب الثالث: أثر الإصلاح
١٠	١- التمتع بحياة طيبة
١١	٢- العناية الإلهية بالذرية وحفظ مالها
١١	٣- جلب ولاية الله
١٣	المبحث الثالث: المقصود بالتغيير
١٤	المطلب الأول: التغيير لغة
١٤	المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً
١٥	المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير التي تناولها القرآن
١٦	المطلب الرابع: مراحل التغيير
١٦	١- مرحلة التبليغ والتبيين
١٦	٢- مرحلة التمحيص والابتلاء بالشدائد والمحن
١٧	٣- مرحلة السداد والهدى والتوفيق
١٧	٤- مرحلة النصر والتمكين
١٧	٥- مرحلة الابتلاء بالخير والنعم
١٨	الفصل الأول الإصلاح والتغيير في سورة الرعد
١٩	المبحث الأول: مدخل إلى سورة الرعد
٢٠	المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها
٢٠	المطلب الثاني: نزول السورة
٢١	المطلب الثالث: فضل السورة
٢٢	المطلب الرابع: محور السورة

٢٢	المطلب الخامس: المناسبة بين اسم السورة ومحورها
٢٣	المطلب السادس: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها
٢٣	المطلب السابع: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها
٢٤	المطلب الثامن: المناسبة بين خاتمة سورة الرعد وفاتحة سورة إبراهيم
٢٥	المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد
٢٦	المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الرعد
٢٦	أولاً: الإيمان بالله تعالى
٢٨	ثانياً: الإيمان بالملائكة
٣١	ثالثاً: الإيمان بالغيب وبالقضاء والقدر
٣٥	رابعاً: الخوف والرجاء
٣٨	المطلب الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة الرعد
٣٨	أولاً: صفات المؤمنين وجزاؤهم
٤١	ثانياً: صفات الكافرين وجزاؤهم
٤٣	ثالثاً: التغيير سنة إلهية ثابتة
٤٧	رابعاً: ألا بذكر الله تطمئن القلوب
٥٢	المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة الرعد
٥٢	أولاً: النظر والتفكير في مخلوقات الله
٥٦	ثانياً: الترغيب والترهيب
٥٩	ثالثاً: الاختيار بين المقابلات والأضداد
٦٣	رابعاً: ضرب الأمثال
٦٧	خامساً: الهداية بمشيئة الله
٧١	المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الرعد

٧٦	الفصل الثاني الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم
٧٧	المبحث الأول: مدخل إلى سورة إبراهيم
٧٨	المطلب الثاني: اسم السورة وعدد آياتها
٧٨	المطلب الثالث: محور سورة إبراهيم
٧٨	المطلب الرابع: المناسبة بين سورة إبراهيم ومحورها
٧٩	المطلب الخامس: المناسبة بين افتتاحية سورة إبراهيم وخاتمتها
٧٩	المطلب السادس: المناسبة بين خاتمة سورة إبراهيم وفتحة سورة الحجر
٨١	المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم
٨٢	المطلب الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة إبراهيم
٨٢	أولاً: مقاصد القرآن وأثره في الهداية
٨٤	ثانياً: أدلة وحدانية الخالق
٨٥	ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات
٨٨	رابعاً: أعمال الكافرين ومصيرهم
٩٠	المطلب الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي في سورة إبراهيم
٩٠	أولاً: شكر النعمة
٩٥	ثانياً: الموعظة
٩٨	ثالثاً: التحذير من كيد الشيطان
١٠٠	رابعاً: ميزان التبعية للآخرين
١٠٢	المطلب الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي في سورة إبراهيم
١٠٢	أولاً: الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة
١٠٦	ثانياً: الزاد الروحاني
١١٠	ثالثاً: الداعية الحليم

١١٣	رابعاً: أثر الدعاء في الدعوة إلى الله
١١٦	خامساً: الابتلاء سنة في الدعوات
١١٩	المطلب الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة إبراهيم
١١٩	أولاً: الاستخلاف في الأرض
١٢٠	١- الإيمان بالله والعمل الصالح
١٢٠	٢- الصبر على كل ما يصيب الإنسان من الأذى
١٢٠	٣- اليقين والثقة بوعده الله
١٢٢	ثانياً: تحقيق الأمن
١٢٤	ثالثاً: سنة الله في إمهال العصاة والظالمين
١٢٩	الخاتمة
١٢٩	النتائج
١٣١	التوصيات
١٣٢	الفهارس
١٣٣	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
١٥٥	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
١٥٨	ثالثاً: فهرس الأعلام
١٥٩	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
١٦٨	خامساً: فهرس الموضوعات
١٧٢	ملخص الرسالة باللغة العربية
١٧٣	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الرعد وإبراهيم)

"دراسة موضوعية"

تم بحمد الله تعالى ختم هذه الرسالة والتي كانت بعنوان:

(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الرعد وإبراهيم - دراسة موضوعية).

تحدثت الباحثة عن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد، حيث ذكرت مدخلاً إلى هذه السورة، كذلك وضحت الباحثة اسم السورة وعدد آياتها، ونزول السورة، وفضل السورة، ومحور السورة، والمناسبة بين اسم السورة ومحورها، ومناسبة السورة لما قبلها (سورة يوسف) .

ثم بين البحث منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الرعد من الجوانب التالية:

العقدي، والأخلاقي، والدعوي، والسياسي .

ثم تحدثت الباحثة عن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم، حيث بينت مدخلاً إلى سورة إبراهيم ذكرت فيه اسم السورة، وعدد آياتها، ونزول السورة ومحورها، والمناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها والمناسبة بين خاتمة السورة وفتحة ما بعدها (سورة الحجر) .

كذلك أوضح البحث المنهجيات التي اشتملت عليها سورة إبراهيم، وهي بعنوان:

(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة إبراهيم) وتشتمل على الجوانب التالية:

العقدي، والأخلاقي، والدعوي، والسياسي .

وانتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

ABSTRACT

Methodologies reform and change in Surat Arrad of Ibrahim (objective study)

Was all praise to Allah seal this letter, which was entitled:

(Methodologies reform and change in Syria thunder of Abraham - an objective study).

The researcher talked about the methodologies reform and change in the Thunder, where said input to this sura, also explained researcher name Sura and the number of verses, and the descent of the sura, and preferred Sura, and the axis of the sura, and appropriate between the name of the sura and centered, suitable Sura to before (Surah Yousof).

Then between research methodologies of reform and change in the Arrad from the following aspects:

Faith, moral, and Addawa, and political.

The research spoke about methodologies for reform and change in Surat Ibrahim, where indicated input to Surat Ibrahim said the name of the sura, and the number of verses, and the descent of Sura and centered, and appropriate between editorial Sura and conclusion and appropriate between Conclusion Sura and usher in what follows (Sura Alhejr).

The search also explained methodologies that are contained in Surat Ibrahim, entitled: (reform and change methodologies in Surat Ibrahim) and include the following aspects:

Faith, moral, and Addawa, and political.

The search ended conclusion included the most important findings and recommendations.